سلسلة: العقيدة وتعزيز اليقين

لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

سلسلة: العقيدة وتعزيز اليقين
لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع

الإيمان بالله (أدلة وجود الله)

الحمد لله -تعالى- الذي شرح صدور أهل الإسلام للهدى، ونكت في قلوب أهل الطغيان فلا تعي الحكمة أبدا، وأشهد أن لا إله إلا الله إلهًا أحدًا، فردًا صمدًا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخيرته من خلقه وخليله، ما أعظمَه عبدًا وسيدًا وأكرمه أصلًا ومَحتِدا، وأبهرَه صدراً وموردا، وأطهره مضجعاً ومولدا -صلى الله -تعالى- عليه وعلى آله وصحبه-؛ غيوث الندى وليوث العدا، صلاةً وسلامًا دائمين من اليومِ إلى أن يبعث الناس غدًا. أما بعد؛

فلا يخفى علينا معشر الإخوة والأخوات أن الإيمان بالله -عز وجل- هو أصل الأصول، وهو الطريق الأعظم للوصول إلى الله -سبحانه-، وهو الذي من أجله خلق الله -تعالى- الخلق، قال -سبحانه-: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" الذاريات:٥٦، وبه قامت السماوات والأرض وبه انقسمت الخلائق إلى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار، ومن أجله نُصِبت الموازين ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وهو حق الله -تعالى- على جميع العباد، ومن المعلوم أيضًا أن أفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب ونال به العبد الرفعة في الدنيا والأخرى هو العلم والإيمان، وهو الذي من أجله أنزل الله -عز وجل- الكتب وأرسل الرسل وأقام الدلائل والبراهين بما لا مزيد عليه، وبالجملة فهو الأساس لكل خير في الدنيا والآخرة، وما سواه تبع له وفرع عليه، قال الله -تعالى-: "أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" التوبة:١٠٩، فمن أراد علو بنيانه فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه، وكل ابتلاءات الخلق وجل صراعاتهم تدور حول الإيمان وضده، فالشيطان وجنده ناصبوا العداوة للمؤمنين بسبب إيمانهم، وهؤلاء لا يهدأون ويضعون أوزار حربهم إلا أن يصير المؤمن على ملتهم الكفرية، عياذًا بالله من هذا.

قال الله -تعالى-: "وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً" النساء:٨٩، أي سواءً في الكفر، فبالله عليكم كيف يستوي في عقل عاقل، فضلا عن دين ديّن أن الإيمان والكفر سواء.

قال الله -تعالى-: "أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ" القلم٣٥:٣٦.

وقال سبحانه: "أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ" ص:٢٨.

وكيف يستوي الأحياء والأموات؟ والنور والظلمات، والهداية والضلال، والسعادة والشقاوة، والخير والشر، فبينهما ما بين السماء والأرض وأكثر من ذلك.

قال الله –تعالى–: "أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" الأنعام:١٢٢، وهذا مثل ضربه الله –عز وجل– للكافر الذي كان ميتًا بكفره، خالٍ من معرفة الله وتوحيده، فأحياه الله بالإيمان، ونور قلبه بالهدى والحكمة والقرآن، وصار له نورٌ ظاهر من جراء وأثر هذا النور الذي امتلأ به قلبه، يظهر على جوارحه، ويُرى على محياه، والكافر الذي لم يهتدِ فهو يتخبط في الظلماء في ظلمات الكفر والجهالة والحيرة والضلال والشقاء.

وها أنتم ترون معاشر الموحدين الناس من حولكم كيف صارت أحوالهم من الشقاء من جراء كفرهم وإلحادهم، وتركهم الإيمان بالله، وكفرهم بالتوحيد والإسلام، فلم تنفعهم هذه الحضارة المادية إلا في أمور دنياهم إن سلمت لهم من الشرور.

وهذا أمر غير منكور أن هؤلاء اكتشفوا أشياء في العلوم المادية لم يُسْبَقوا إليها، ولكنهم مع الأسف الشديد لا يزالون يبتعدون عن الإيمان، ويوغلون في الكفر والإلحاد، ويتمادون في الضلال والعناد للوحي ونور الهداية، بل يريدون فرض ما وصلوا إليه على العباد، وما شأنهم إلا كما قال الله –تعالى–: "يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ" الروم:٧.

وكما قال –سبحانه–: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ" محمد:١٢، ولو لم يكن من خطر الإيمان إلا أن مصير العبد وحظه من السعادة، والفلاح والحياة الطيبة والنجاة في الآخرة والنعيم المقيم، ورضا رب العالمين لكفى به شرفا، ولو لم يكن من شر الكفر إلا الشقاء في الدنيا والحيرة والضنك والتعاسة وسوء السيرة والسريرة، وأن يكون صاحبه أشبه شيء بالأنعام السائبة، ثم إذا هلك ولقي حتفه لقي الهوان والذل والعذاب أبد الأبدين مع غضب رب العالمين –سبحانه–، الذي لا يقوم لغضبه شيء على الكافرين، لكفى بهذه الأمور وغيرها منفرًا للعبد أن يفعل الكفر، أو أن يحب الكافرين أو أن يرضى بأفعالهم.

قال الله –تعالى–: "إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ * وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ" طه٧٤:٧٦، تزكى وتطهر، بالتوحيد ونور الوحي.

ورحم الله القائل الذي قال: إِذَا الإيمان ضَاعَ فَلَا أَمَانُ؛ وَلَا دُنْيَا لِمَنْ لَمْ يُحيِّ دِيْنَا.

والقائل: مساكين والله أهل الدنيا، خرجوا من الدنيا وما عرفوا أفضل ما فيها، قيل له وما هو؟ قال: معرفة الله والأنس به وعبادته –سبحانه–

ولما كان الأمر بهذا الخطر والجلالة، وكنا معشر المسلمين في مسيس الحاجة إلى تقوية أصول إيماننا، وأن نرتقي من الإيمان المجمل إلى الإيمان المفصل، ومن حال التقليد في العقيدة إلى حال اليقين والإذعان، والتصديق عن حجة وبرهان، لنحيا حياة السالفين الأول الذين أحياهم الله بالإيمان ونور الوحي، ولنسلم من عبادة الأوثان ومن داء الإلحاد والشرك والكفران، ونعبد ربنا ونعرفه كما جاء في محكم القرآن وسنة سيد ولد آدم العدنان –عليه الصلاة والسلام–.

وقد رغب إخواننا في شبكة الطريق إلى الله شكر الله سعيهم وتقبل عملنا وعملهم وجعلنا وإياهم هداةً مهتدين، إلى هذا البرنامج الموسوم ببرنامج حياة التربوي، وفي مرحلته الخامسة والأخيرة أشرف بصحبتكم فيها على مدار حلقات ثمانٍ نتناول فيها أصول الإيمان، أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يوفقنا وإياكم وإياهم إلى ما يحب ويرضى، وأن يجعل عملنا كله خالصا لوجهه الكريم –تبارك وتعالى–.

أما الركن الأول من أركان الإيمان فهو الإيمان بالله –سبحانه وتعالى–، وإذا ذكر الإيمان بالله فهذا يتضمن أربعة أمور لا يصح إيمان العبد بالله إلا أن يؤمن بها جميعًا:

<u>الأمر الأول</u> الإيمان بوجوده –سبحانه وتعالى–، أن ربنا –عز وجل– موجود –عز وجل–، هذا هو الأمر الأول.

<u>والأمر الثاني</u> أن نؤمن بأنه رب، خالق، رازق، مدبر لهذا الكون، خالق، محي، مميت، وهكذا من صفات الربوبية له –عز وجل–.

والأمر الثالث أن نؤمن بأنه إله، ومن صفات الإله ألا يعبد معه آلهة أخرى، أن نفرده –عز وجل– بالوحدانية، ونفرده بالعبادة فلا نعبد إلا الله، وهذا هو التفسير الصحيح لكلمة وشهادة العبد بقوله أشهد أن لا إله إلا الله، أي لا معبود بحق إلا الله، ولا نصرف العبادة إلا لله –عز وجل–.

والأمر الرابع أن نؤمن بأن هذا الرب الموجود والإله المعبود له أسماء حسنى وصفات علا، أمرنا أن ندعوه بها –سبحانه وتعالى–.

وسنتحدث بشيء من الإيجاز مع البيان لهذه الأصول الأربعة لكي يصح إيماننا بالله –تبارك وتعالى–.

أما الإيمان بوجود الله –عز وجل– فهو أظهر من أن يُطْلَب عليه دليل، أو يُسعى إليه ببرهان، وكيف يطلب الدليل والبرهان على من هو دليل كل شيء وبرهان كل شيء –سبحانه وتعالى–؟

كما قال القائل: وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل. الشمس طالعة وليس دونها سحاب، وكل الخلق العقلاء يعلمون أننا بالنهار، فإذا جاء قائل وتعنت وتنطع وقال: اثبت لي أننا بالنهار وليس بالليل، قد يعجز الإنسان أن يقيم الحجة والبينات، لأن كل الظواهر والدلائل شاهدة بأننا بالنهار وليس بالليل. هذا هو الأمر الأول؛ فحتى ذات المخلوق نفسه، الإنسان المتكلم اللي بيسأل هذا السؤال الذي يقول اثبت لي أن الله –عز وجل– موجود نقول له: أنت وجودك دليل على أن الله موجود، لأنك من جملة صنعته –سبحانه وتعالى– وقد خلقك ولم تكن من قبل شيئًا مذكورًا.

أما وقد ظهر شذاذ من الناس قديما كالدهريين، الذين حكى الله –عز وجل– قولهم حين قال –سبحانه–: "وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ" الجاثية:٢٤، يعني الزمن هو اللي بيهلكنا ولا يؤمنون بوجود إله ولا برب ولا بعبادة ولا بجنة ولا بنار ولا بالقيامة ولا بغيرها من هذه الأمور، الزمن يعني زي ما بيقولوا إيه؟ أرحام تدفع وأرض تبلع وانتهت المسألة عند هذا الحد.

وحديثًا بقى اللادينيون من غلاة العلمانية والشيوعيين والملاحدة، الذين لا يؤمنون بوجود الإله –سبحانه–، طيب فإذا سئلوا فمن خلق هذا الكون وما فيه؟ تخبطوا في الإجابة، فيذهب بعضهم إلى أن الإنسان هو الذي خلق الإله وليس الإله هو الذي خلق الإنسان، فض الله فاه وما أخزاها وأحمقها من مقولة، يعني قالوا إن عشان الإنسان بيخاف دايما ومحتاج أن هو يحتمي في شيء فاخترع ما يسمى بالإله، كأنه هو الذي خلقه واخترعه –عياذًا بالله من هذا–. نقول لهم يا جماعة قولوا كلاما معقولا، من خلق هذا الخلق علويه وسفليه، وسمائه وأرضه، إنسه وجنه، بحاره وصحاريه، شمسه وقمره، أفلاكه وكواكبه، أجيبونا يا خلق الله.

منهم من يقول إن الطبيعة القوية هي التي خلقت هذا الخلق، الطبيعة القوية فضلت تنتخب الخلق جيل من بعد جيل حتى وصلت إلى أرقى ما وصلت إليه ثم كفَّت الطبيعة عن التحديث والتطوير، وهذا جهل مغرق –عياذًا بالله– وهذه نظرية فاجرة ملحدة، كما قيل: أبوها الكفر وأمها القذارة، وقد اخترعها هذا الرجل المجرم المنسوبة إليه هذه النظرية، نظرية النشوء والارتقاء؛ داروين، وأصوله يهودية وهو ملحد لا يؤمن أصلا بوجود رب ولا إله، وقد راجت هذه النظرية بل كانت تدرس في ديار المسلمين حينًا من الدهر حتى قام لها أناس من المسلمين ومن غير المسلمين وهتكوا سترها وبينوا ضلالها، وأنه لا يصح في عالم العقلاء أن يتبنى أحد هذه النظر، ولكن للأسف فئام من الناس اعتنقوا هذا الأمر وتصوروه صحيحًا.

طب لما واحد يموت بقى من الجماعة بتوع الطبيعة دي نقول له إيه؟ للطبيعة ما أعطت ولها ما أخذت ولا رحم الله ميتك لأنه لا يؤمن بالقيامة؟ ماذا نقول حينما نعزي واحد بيعتقد هذه النظرية الملحدة –عياذًا بالله من هذا–.

وكذلك أيضًا منهم من يقول بأن هذا الكون خلق لقانون المصادفة، والمصادفة دي ليست قانونًا إنما هو تقدير من المولى –سبحانه وتعالى–.

فكل هذه النظريات لا تصح أبدًا، ويبقى أهلها حيارى كما قال عنهم القائل: جئت لا أدري من أين ولكني أتيت، أتيت ولقد أبصرت قدماي طريقا فمشيت، وسأبقى سائرًا، يعني إيه؟ هكذا، هيعرض، فضل يقول لا أدري لا أدري هو لا يدري فعلا، ولعله إن مات على هذا؛ هذا

الشاعر لأنه كان نصراني إيليا أبو ماضي، سيقال له: لا دريت ولا تلوت في قبره حينما لا يجيب من ربك؟ وما دينك؟ وما تقول في الرجل الذي بُعِثَ فيكم؟

أدلة وجود الله

فلهذه الأمور أصبح العلماء يذكرون الأدلة والبراهين على وجوده –سبحانه وتعالى–، لإبطال هذه الكفريات، وقد ثبت وجوده –جل وعلا– بأدلة الفطرة وأدلة العقل الصحيح وإجماع الأمم إلا الشاذ منهم، ودلالة الحس، وطبعا دلالة الشرع.

فأما الفطرة فقد قال الله –عز وجل– في شأنها: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا" الروم:٣٠، والحنيف هو المقبل على الله المائل عما سواه، ولذلك لما مدح الله الخليل إبراهيم قال عنه بإنه إيه؟ "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" النحل:١٢٠، فهو يلقب بإمام الحنفاء والذي ورث ملتهم من بعده هو نبينا –صلى الله عليه وسلم– قال: "إنَّما بُعِثتُ بالحَنيفيَّةِ –الإيه؟– السَّمْحَةِ"[1]، يقول –سبحانه–: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا" الروم:٣٠، أي خلقهم –عز وجل– مهيئين لقبول الدين من أثر الميثاق الذي أخذه الله –عز وجل– عليهم وهم في عالم الذر، لما خلق الله آدم ومسح بيده الكريمة على ظهره فاستخرج كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا، "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ" الأعراف١٧٢:١٧٣.

وأيضًا في الحديث القدسي الصحيح أن الله –سبحانه وتعالى– قال: "وإنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، –إني خلقت عبادي حنفاء إيه؟ كلهم– وإنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عن دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عليهم ما أَحْلَلْتُ لهمْ"[2].

وفي الصحيحين أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "ما مِن مَولودٍ إلَّا يُولَدُ على الفِطرةِ"، قيل على الإسلام وقيل على التوحيد وقيل على أصل الخلقة أنه لو لم تُغيّر هذه الفطرة لما كان إلا مسلمًا إيه؟ موحدًا، أومال الكفرة دول بيطلعوا لنا منين؟ إذا كان ربنا خلقهم في الأصل حنفاء، وهم بيولدوا على هذه الفطرة على الملة الحنفية، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: فأبواه بقى تغيير الفطرة أهي، فأبَواهُ يُهَوِّدانِهِ أوْ يُنَصِّرانِهِ أوْ يُمَجِّسانِهِ، بيخلوه إما يهودي أو نصراني أو مجوسي عابد للنار، ولم يقل –عليه الصلاة والسلام– أو يسلمانه لأنه ما وُلِدَ إلا إيه؟ إلا مسلمًا أو مهيئًا لقبول الإسلام.

فلذلك إن دليل الفطرة ده من أقوى الأدلة راسخ لأن ربنا خلقنا به، ربنا خلقنا به –سبحانه وتعالى–، ولذلك ممكن تجد مثلًا الإنسان لما ييجي يخالف دليل الفطرة ويُذَكَّر به هو لا يحتاج إلى قال الله ولا قال الرسول بعد ذلك، لأنه بينطق هذا الناطق في قلبه، ويفزع، ازاي أنا كنت غافل عن هذا المعنى؟

ألا تذكرون هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد وغيره أن شابا أتى النبي –صلى الله عليه وسلم– فجاء فقال: يا رسول الله ائذن لي في الزنا، فقام الصحابة ليضربوه، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– مَهْ، أسكتهم وأبعدهم عنه، لأنه أتى أمرًا منكرًا بين يدي رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، والصحابة كانت عندهم حمية وغيرة شديدة على الدين، قال له النبي –صلى الله عليه وسلم–: ادنُهْ فما زال يقول له ادنُهْ حتى جلس بين يديه –عليه الصلاة والسلام–، ثم قال له: كيف قلت؟ قلت يا رسول الله ائذن لي في الزنا، والله ما قال له النبي –صلى الله عليه وسلم– إنّ الله حرم الزنا أو أنه من أكبر الكبائر أو إنما جئت بتحريم الزنا أو هذا منافي للإسلام أو عذاب الزناة في الدنيا بالحدود وفي الآخرة

---

[1] صححه الألباني

[2] صحيح مسلم

بالعذاب لم يقل له شيئًا من هذا، وإنما ذكره بدليل الإيه؟ الفطرة، فقال له أترضاه لأمك؟ فذهل الشاب وقال: جعلني الله فداك لا أرضاه لأمي، إزاي أمي تبقى زانية؟ فقال: وكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم، أترضاه لابنتك؟ أترضاه لزوجتك؟ أترضاه لأختك؟ لعمتك؟ وكل ذلك والشاب يقول لا لا ثم قال: ادعو الله لي يا رسول الله، فوضع النبي يده الشريفة على صدره وقال: اللَّهمَّ اغفِرْ ذنبَه وطهِّرْ قلبَه وحصِّنْ فرجَه، فكان بعد لا يلتفت إلى شيء مما حرم الله –سبحانه–، ده بقى اسمه إيه؟ دليل الفطرة، دليل الفطرة.

هكذا أيضًا ممكن تلاقي ناس شيوعيين ولادينيين وعباد أوثان، وبيعبدوا بوذا وبيعبدوا البقر وبيعبدوا آلهة شتى، وبعدين يركبوا الطيارة ويحصل عطل في الطيارة ويتقال إن الطيارة خلاص دقيقة ولا اتنين هتقع أو هتحترق في الجو، شوفوا بقى الملاحدة دول بيعملوا إيه؟ ما بيقولوش يا إلحاد الحقنا، ويا طبيعة حوشينا، ويا مصادفة احنا كنا مخطئين، ولا اللي بيعبدوا البقر يقول لها تعالي يا أمنا البقرة حوشينا، كل ده بينتهي، لا يقولون إلا الله، لا يدعون إلا الله، ده ناطق الفطرة أهو، ناطق الفطرة.

ولذلك ربنا –سبحانه وتعالى– حكى عنهم هذا، فقال: "هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ –يعملوا إيه بقى عباد الأوثان دول؟– دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم" يونس٢٢:٢٣.

فلذلك بنقول أن دليل الفطرة من أرسخ الأدلة معرفة الله –سبحانه وتعالى– لهذا الميثاق الذي أخذه الله على الخلق، ولأن الله أنزلهم من بطون أمهاتهم مهيئين لقبول هذا الدين ما لم تُغيَّر وتُغْتَال وتُنتَكس منهم هذه الفطر. شوف ما أنكروا على الرسول –عليه الصلاة والسلام–؛ شوف احنا بنقول إن دليل الفطرة قوي ازاي؟ هم قالوا للرسول –عليه الصلاة والسلام–: "أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ" ص:٥، لأن نشأوا وهرم الكبير على هذا وشب الصغير عليه، وورثوا الدين جيلًا بعد جيل وقد حُرِّف وهم يزعمون أنهم على ملة إبراهيم –عليه السلام–.

أما دلالة العقل الصحيح على وجود الله –سبحانه وتعالى–، فكما يقال هذا من بداهة العقول، يعني لا نحتاج إلى إعمال العقل، ده أمر كان العقول كلها تواطأت عليه، لأنه من بداهة العقل التي تقتضي أنه يستحيل أن يُوجِد الشيء نفسه، عمرك شوفت كوب مثل هذا صنع نفسه بنفسه؟ يقول لك العقلاء كلهم متفقين، لا، أمال إيه؟ لابد أن يكون له إيه؟ صانع صنعه.

وكذلك أيضًا يعني كما يستحيل أن يوجد الشيء نفسه، يستحيل أن يوجد شيء بلا مُوجِد، كما يقرر –أي العقل– أن العدم لا يخلق شيئا، أن العدم إيه؟ لا يخلق شيئا، وأن فاقد الشيء لا يعطيه، وهذه الدلالة موجودة في قوله –سبحانه وتعالى– في سورة الطور: "أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ" الطور:٣٥، أي خلقوا من غير رب أم هم الخالقون لأنفسهم فهذا أعجب، فلذلك في حديث جبير بن مطعم –رضي الله تعالى عنه وأرضاه– كان إبان كفره بعد غزوة بدر أُسِرَ له أُسارى في غزوة بدر، فأخذ مالًا من مكة وذهب إلى المدينة عشان يدفع الفداء ويفك أسراه، فوصل المدينة وقدَّر الله –عز وجل– أن يكون النبي –صلى الله عليه وسلم– في صلاة المغرب يصلي بالمسلمين في مسجده النبوي صلاة المغرب، وقرأ النبي –صلى الله عليه وسلم– سورة الطور ووصل إلى قول الله –عز وجل–: "أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ" شوف الراجل المشرك عبد الوثن اللي جاي متغاظ بقى هيدفع فلوس هيدفع فلوس كتيرة مش فلوس قليلة عشان يفدي الأسارى، وعدو، ومع ذلك شعوره شوف بيقول إيه في هذه اللحظة؟ قال: فكاد قلبي لها أن يطير، سبحان الله! لأنه عربي فصيح، الآية اخترقت قلبه ووصلت إلى سويداء القلب، إن لا يمكن أبدًا إن هؤلاء الناس يكونون خلقوا من غير إله خلقهم، رب خلقهم، ولا يمكن أصلًا أن يخلقوا إيه؟ أنفسهم، "أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ" الطور:٣٦، كل السورة تساؤلات في هذا السبيل، فلذلك يقول بعد ذلك: فكان هذا

أول ما وقر الإيمان في قلبي، ده كان أول بصيص نور –سبحان الله– يصل إلى قلبه وبعد ذلك أسلم وحسن إسلامه –رضي الله تعالى عنه وأرضاه–.

وأما إجماع الأمم فيقول المؤرخ الإغريقي الشهير بازماك: "لقد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون ولا سدود ولا قناطر، ولكن لم توجد أبدًا مدن بلا معابد".

فالناس اللي بتقول إن الإنسان ممكن يستغنى عن الدين هؤلاء واهمون، ضُلّال، فجار. اللي بيقول إن الدين أفيون الشعوب، أو الدين ده بيُفسِد الناس أو بيقلل حضارتهم أو بيقلل تقدمهم ومدنيتهم، بئست هذه الحضارة الفاجرة الداعرة الكافرة، فإن أهلها حطب جهنم غدًا إن ماتوا على هذا وما تنفعهم هذه الاكتشافات والاختراعات، إنها لا تفيدهم شيئا من عذاب الله ولا تمنع عنهم هذا العذاب.

فهذا الرجل يقرر إن أيوه فيه ناس كانوا متقدمين وكذا لكنهم لم يصلوا إلى إيه؟ إلى هذا الأمر إن لابد كل الناس كانت عندهم معابد يعبدون فيها آلهتهم.

فمع اختلاف الناس؛ عقائد يعني كثيرة ويعبدون آلهة باطلة شتى، لم يدعي واحدًا منهم أنه خلق هذا الكون، وخلق ما فيه من هذا الخلق، وأنه يتحكم في هذا الخلق بالإحياء والإماتة والرزق وتقدير المقادير، لم يدعي أحد هذا، ومن حاول أن يموه ويضحك على نفسه قبل أن يضحك على الناس، يفتضح ويوصف بالبهتان، وما أمر النمروذ منا ببعيد؛ الذي كان طاغية وظن أنه بملكه يدعي الربوبية أو يدعي الألوهية، ولما ناظره إبراهيم –عليه السلام– وقال: "رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ" البقرة:٢٥٨، فجاء برجلٍ قد حكم عليه بالقتل لجريمة ارتكبها أو برجلين يعني، كلاهما حكم عليه بالإعدام، فقال: عفوت عن هذا فكأني أحييته بعد الممات، وهذا أمر بقتله، فقال له أنا أحيت وأميت، طبعا هذا بهتان، لأنه لو كان صادقا لأحيا هذا الذي قتله وضرب عنقه بالسيف وآثاره من مكان، ده بقى صحيح نقول له بقى أنت رب وانت إله، طالما هيعمل كده، المقصود أنه لم يدعي على طول الخليقة وعرضها من قال بأنه خلق الشمس والقمر وخلق هذا الخلق، بل معظم عبّاد الأوثان وكثير من المشركين كانوا يقرون بوجود الله –سبحانه وتعالى–، وكانوا يقرون أيضًا بأن الله خلق الخلق، "وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ" الزخرف:٩ –سبحانه وتعالى–.

وأما دلالة الحس فمنها إجابة دعوة الداعين المضطرين حينما يرفعون أكف الضراعة إلى الله –عز وجل–، واحنا ضربنا المثل بغير المسلمين، فما بالك بأولياء الله –سبحانه وتعالى– إذا ضاقت عليهم الأمور فدعوا ربهم –سبحانه وتعالى–.

وكذلك من الأدلة الحسية معجزات الأنبياء:

– قوم صالح ثمود؛ من تعنتهم مع صالح –عليه السلام– طلبوا منه أن يخرج لهم ناقة من هذا الجبل، فدعا صالح ربه فأخرج الله –عز وجل– دابةً؛ ناقة عظيمة كوماء ومعها فصيلها، يعني كمان وراها إيه؟ وراها ابنٌ لها، وكان من أمرهم ما كان، وقال لهم خلاص أنتم طلبتم الآية أهي، وهذا البئر الذي تشربون منه؛ يوم هتشرب الناقة وتعطيكم في هذا اليوم الذي لا تشربون منه لبنًا بدل الماء، وفي اليوم التالي أنتم تشربون وهي لا تَرِدْ تشرب، وبقوا على هذا فترة ثم كان من أمرهم ما كان "فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" الأعراف:٧٧، فأتاهم عذاب الله –سبحانه– فدا دليل حسي.

– انشقاق البحر لموسى –عليه السلام– لما أمره الله أن يضرب بعصاه البحر "فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ" الشعراء:٦٣، دليل حسي.

– عصا موسى –عليه السلام– التي كانت تأكل هذه الحيات التي شُبِّهَت للناس من جراء السحرة.

– إنجاء إبراهيم من النار، ألقي في النار وخرج لأمر الله –عز وجل– للنار التي من صفاتها الإحراق، "قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ" الأنبياء:٦٩.

– معجزة انشقاق القمر للنبي –صلى الله عليه وسلم– والكفار شافوا القمر بقى نصين؛ نص قبل الجبل ونصف بعد الجبل، وقالوا سحرنا محمد بعد ذلك؛ يعني سحر أعيننا بحيث إن القمر واحد واحنا شايفينه نصفين، حتى قال الله –عز وجل–: "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ" القمر١:٢.

أما دلالة الشرع فهي أظهر من أن يحاط بها، فما من كتاب أنزله الله ولا رسول بعث إلى الخلق إلا ودعاهم إلى توحيد الله –سبحانه وتعالى– والإيمان به، حتى قال بعض العلماء بأن كل آية في القرآن هي شاهدة على توحيد الله –سبحانه وتعالى–، فإنها إما أن تأمر بتوحيد الإله وعبادته، أو تنهى عن ضد التوحيد؛ تنهى عن الشرك والكفر به –سبحانه–، أو تقرر ثواب الموحدين في الدنيا والأخرى، أو تقرر عذاب من لم يوحد –اللي هو المشرك الكافر– عذابه في الدنيا والأخرى، أو أن تقول الأعمال التي تؤدي إلى الإيمان وزيادته أو أن تبين الأعمال التي تؤدي إلى الكفر وتكون من شعبه. يبقى إذاً القرآن كله يدعو إلى الإيمان والتوحيد وإسلام الوجه لله رب العالمين –سبحانه وتعالى–.

ولذلك هناك ارتباط وثيق بين أن العبد يؤمن بوجود الرب –سبحانه وتعالى– وبين إيمانه بربوبيته –عز وجل–.

وكما ذكرنا أن الأمر هذا مركوز في الفِطَر، ودلت عليه العقول الصحيحة، وكذلك أيضًا دلت عليه أدلة الحس وأدلة الفطرة وأدلة الشرع وجاء الرسل ليقرروا هذا الأمر، ولم ينكره إلا شذاذ من الخلق قديمًا ونفرٌ من هؤلاء حديثًا، وإن كانوا كثروا في أيامنا هذه، الأفكار العلمانية والإلحادية بدأت تفشو حتى غزت ديار المسلمين، تفاجأ يقول لك الشاب ألحد، إيه يا جماعة اللي حصل؟ تفاجأ أن هو دخل على بعض المواقع الإلحادية أو حضر ندوة تدعو إلى الإلحاد أو شاهد فيلم يدعو إلى هذا الأمر أو تقرير أو أي شيء أو كلمه أحد هؤلاء الملاحدة فشككه في دينه ولبّس عليه دينه، فلذلك نحن نحتاج أن نحصن أنفسنا بأن نؤمن بالله –عز وجل– بأنه موجود، وأيضا نؤمن بأنه –سبحانه وتعالى– هو الرب الخالق الرازق، وكما ذكرنا بكل الأدلة دي هي أيضًا معنا في أدلة إثبات أن الله –تعالى– رب.

واحنا عارفين أن كلمة الرب عند العرب لها معاني كثيرة منها السيد، ومنها المالك، ومنها الحاكم، ومنها ما تُقْضَى على يديه الأمور، يُقال رب البيت مثلا والرب بمعنى الحاكم والمالك والسيد، ومن معانيها الخالق ومن معانيها الرازق، وهذا أمر لم ينكره كما ذكرنا إلا شذاذ من الناس.

والله –سبحانه وتعالى– دعانا أن نتعرف على ربوبيته –عز وجل– من طريقين عظيمين:

أما الطريق الأول فهو هذا الكون وما فيه، وهذه الأنفس اللي هو نفس ابن آدم كما قال –سبحانه–: "وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" الذاريات:٢١، وأما هذه الأدلة التي في الكون قال الله –سبحانه وتعالى– عنها وعن الأنفس: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" فصلت:٥٣ –سبحانه وتعالى–.

لعل لقاءنا اليوم قد انتهى، مع هذا الطواف السريع، وإن شاء الله –عز وجل– نكتفي بهذا المقدار، وليكن لقاؤنا بمشيئة الله –عز وجل– في درسنا القادم، مع ذكر باقي أقسام الإيمان بالله –عز وجل– وتوحيده –سبحانه–، ألا وهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية، نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن ينفعني وإياكم بما ذكرنا، ونسأله –عز وجل– أن يحي قلوبنا بذكره وشكره وحسن عبادته، وألا يتوفنا –سبحانه وتعالى– إلا وهو راضٍ عنا وعلى الإيمان، اللهم آمين.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرا، وإلى أن نلتقي في لقاءٍ قادم، أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأقسام الثلاثة في الإيمان بالله

الحمد لله رب العالمين قيوم السماوات والأراضين مالك يوم الدين، سبحانه جل من إله عظيم، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأشهد أن لا إله إلا الله إلهًا أحدًا فردًا صمدًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخيرته من خلقه وخليله. أما بعد؛

فإن أصدق الحديث كتاب الله -تعالى-، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور محدثاتها،وكل محدثة بدعة،وكل بدعة ضلالة،وكل ضلالة في النار، أجارني الله وإياكم منها. أما بعد؛

فمرحًبا بكم إخواني وأخواتي ممن يتابعون هذا البرنامج؛ برنامج حياة وهذه دروس العقيدة وتعزيز اليقين، نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوفقنا وإياكم إلى العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعلنا وإياكم في عداد عباده المؤمنين المحسنين، اللهم آمين.

انتهى بنا الحديث في المرة الماضية للحديث عن أهمية الإيمان في حياة الإنسان،وكيف أن مصير العبد مرتهن بإيمانه، وحظه من النعيم مرتهن به وإلا فالشقاء والعذاب الدنيوي والأخروي.

وذكرنا أن الإيمان بالله -سبحانه وتعالى- يقتضي أربعة أمور:

الأمر الأول كان الإيمان بوجود الله -سبحانه وتعالى-، وذكرنا بأن هذا الأمر دلت عليه الفطرة، ودل عليه العقل، ودل عليه الحس، ودل عليه إجماع الأمم، ودل عليه طبعًا الشرع.

وقسم العلماء بعد ذلك توحيد الله -سبحانه وتعالى- إلى ثلاثة أقسام: فقالوا توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية.

وبعضهم يقسمه إلى قسمين: فيقول التوحيد العلمي الخبري؛ فيضم توحيد الربوبية مع توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد القصد الإرادي الطلبي يجعله لتوحيد الألوهية.

توحيد الربوبية

نبدأ الحديث عن توحيد الربوبية، ولا بد أن نقول معاشر الإخوة والأخوات بأن هذا التقسيم تقسيم نظري، كما قسم العلماء أي شيء في العلوم الأخرى، هتجد هذا التقسيم في علوم اللغة وفي علوم الأصول وفي الفقه والتفسير وسائر العلوم. فهذا أمر ليس بمنكر وهو مستنبط من الأدلة، وهذا يراد منه تيسير تعلم المتعلم أمر دينه والاعتقاد الصحيح. فالذي ينكر ويقول بأن هذا أمر مخترع أو أن ابن تيمية هو الذي اخترعه ولم ُيسبق إليه، هذا كلام ينم عن جهل شديد وخصومة لا تبقي ولا تذر.

يقولون لا مشاحة في الاصطلاح؛ أن هذا التقسيم توارد عليه العلماء وساروا عليه ولم ينكروه، فخلاص لا بأس به أبدًا يعني.

فنبدأ بتوحيد الربوبية ومعناه الاعتقاد الجازم والإقرار الكامل والاعتراف التام بأن الله -تعالى- وحده رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه. يبقي الملك والخلق والرزق، لا شريك له ولا ند ولا سمي له -سبحانه- في هذه الأمور، حي لا يموت -سبحانه وتعالى-، حياته لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء، وقيوم لا ينام، لأن السماوات والأرض وما فيهما قام به -سبحانه وتعالى- فهو القائم علي كل نفس بما كسبت -عز وجل-، منزه عن النقص والعجز والعيب، بديع السماوات والأرض مدبر العالم والمتصرف فيه والقادر عليه، له الحكم وله الأمر -جل في علاه-، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن،وكل من في السماوات والأرض عبد له وفي قبضته وتحت قهره وسلطانه، والإيمان بقضاء الله وقدره والإقرار بعدل الله.

وخلاصته هو توحيد الله –تعالى– وإفراده بأفعاله وقد قامت الأدلة الشرعية على وجوب الإيمان بربوبيته –سبحانه وتعالى– والقرآن الكريم مليئ بذكر الأدلة على ربوبيته. يكفي أننا نستفتح كتاب الله –عز وجل– بقولنا: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فهو ربهم خلقهم من عدم، ورباهم بنعمه –سبحانه وتعالى–، ومن أجل النعم أن يرزق الإنسان نعمة الإيمان إذ كفر به الكافرون وحرم الأشقياء من الإيمان به –سبحانه–.

وقال –تعالى–: "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" الأعراف:٥٤، وقوله –سبحانه–: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا" البقرة:٢٩، وقوله –عز وجل–: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ" الذاريات:٥٨، قال –سبحانه–: "قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ" المؤمنون:٨٨.

وهذا الوع من التوحيد أقر به في الجملة كفار قريش حتى قال الله –عز وجل– عنهم: "وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" لقمان:٢٥، وقوله –عز وجل–: "قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ" يونس:٣١.

وكما ذكرنا في أدله وجود الله أن ده أمر فطري، هكذا أيضا توحيد الربوبية أمر فطري، وأن الناس جُبِلُوا وفُطِروا وخُلِقُوا على أن يُقِرّوا بأن الله –عز وجل– ربهم، هو الذي خلقهم لا رب لهم سواه –سبحانه وتعالى–، ولا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت إلا هو –عز وجل–.

طبعًا اللي أنكر وجود الله من باب أولى أنكر ربوبيته –سبحانه وتعالى–، زي الدهريين فيما سلف أو الشيوعيين والملاحدة وغيرهم في الحديث.

ولو أقر الإنسان بتوحيد الربوبية لله –عز وجل– هذا لا يُدْخِل صاحبه في الإسلام، ولا يعصم دمه وماله، ولا ينجيه في الآخرة من عذاب النار والخلود فيها حتى يلتزم بالوع الثاني من التوحيد، وهو توحيد الألوهية أو توحيد العبادة كلاهما تسمية صحيحة.

فطبعا لا شك أن توحيد الربوبية فيه إقرار بعظمة الله –سبحانه وتعالى–، وتفرده بالخلق والملك والتدبير، قال الله –تعالى–: "ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ" الأنعام:١٠٢، فربنا بيذكر الخلق بأنه خلقهم وخلق غيرهم، ثم يأمر بعبادته –سبحانه وتعالى–.

ولذلك دايما تجد ارتباط بين مسألة الخالقية ومسألة الأمر بالعبادة "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ" الأعراف:٥٤ –سبحانه وتعالى–، ولما سئل النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أيُّ الذَّنْبِ أعْظَمُ؟ قالَ: أنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وهو خَلَقَكَ"[3] تجعل لله ندًا وهو خلقك.

وقال الله –سبحانه تعالى– في سورة الروم: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ" الروم:٤٠.

وتوحيد الربوبية يؤدي إلى الإقرار بتوحيد الألوهية أي إفراد الله –عز وجل– بالعبادة وحده لا شريك له.

قال الله –تعالى–: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ" البقرة٢١:٢٢.

فجمع الله –عز وجل– في هذه الآية الكريمة بين أنه الخالق للسماوات والأرض وما فيها وبين أمره –سبحانه وتعالى– لهم بالعبادة، وألا يجعلوا معه أندادًا –سبحانه وتعالى– يؤدون لها العبادة كما يؤدونها لله –سبحانه وتعالى–.

وذكرنا بأن هذا الأمر فطري جِبِلّي أن الإنسان يوقن بأن الله –سبحانه وتعالى– هو الذي خلقه، وهو الذي رزقه، ولذلك يجب عليه أن يؤمن بربوبيته –سبحانه وتعالى–، ثم يؤدي بعد ذلك حق الرب –سبحانه وتعالى– في التوحيد والعبادة.

---

[3] صحيح البخاري

ولذلك قال الله –سبحانه وتعالى– في سورة الحديد: "أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ * اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" الحديد١٦:١٧.

هناك كلام طيب جدًا للحافظ ابن كثير عبارة ذهبية رائعة: "فيه إشارة إلى أن الله –تعالى– يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتان الوابل، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج –أي يدخل– إليها النور بعدما كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لما يشاء بعد الإضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعّال، وهو الحكم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال –سبحانه وتعالى–".

ولذلك فأنا بنصح نفسي وإخواني دائما ولا سيما ونحن نعيش هذه الحياة المعاصرة النكدة التي غلبت المادية على الناس،وكثرت فيها تشعبات الحياة ومطالبها، أن يجعلوا لأنفسهم ولو كل يوم ربع ساعة أو نصف ساعة يخلون للتدبر في آيات الله الكونية وآياته الشرعية.

ذكرنا في نهاية درسنا الماضي قوله –سبحانه وتعالى–: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ" فصلت:٥٣، وهذه الآيات الشرعية انظروا كيف قال الله –سبحانه وتعالى– فيها، فلا بد من أن نهتم بهذين الأمرين وهما طريقان عظيمان للوصول إلى معرفة الله –سبحانه وتعالى–. دعانا الله إليهما دعوةً إن احنا نتعرف عليه من خلال الكون والأنفس، ومن خلال آياته الشرعية الكتاب العزيز "كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ" ص:٢٩.

فلابد أن نفرغ من أنفسنا وقتا نتعرف على ربنا –سبحانه وتعالى– في كونه، في سمائه، في أرضه، فيما بثه من الخلق، انظر إلى العجب في خلقك يا ابن آدم حيث لم تكن من قبل شيئا مذكورًا فسواك سميعًا بصيرًا عاقلًا، تعطي وتأخذ وتملأ الحياة ضجة كما يقول الله –سبحانه وتعالى– لعبده الكافر يوم القيامة: " أَلَمْ أُكرِمْكَ، وأُسَوِّدْكَ وأُزَوِّجْكَ، وأُسَخِّرْ لكَ الخَيْلَ والإِبِلَ، وأَذَرْكَ تَرْأَسُ وتَرْبَعُ؟"وكل ده والعبد بيقول بلى يا رب، بلى يا رب، ثم يقول الله –عز وجل–: "أفظَنَنْتَ أنَّكَ مُلاقِيَّ؟" فيقول العبد: لا، كان كافر بلقاء الله –سبحانه وتعالى–، فيقول الله –عز وجل–: "فإنِّي أنْساكَ كَما نَسيتَنِي"[4] خلاص.

فلابد أن نعطي لأنفسنا فرصة في وسط هذه الحياة وضجيجها نتأمل في هذا الكون، نتفرج على برنامج العلم والإيمان، عالم البحار، عالم الحيوان، الأشياء الفلكية وغيرها، وبديع صنع الله –سبحانه وتعالى–، حاجات تأخذ بالألباب، لن نفتر عن قولنا: سبحان الله، سبحان الله، فهذا مما يزيد في إيمان العبد ويجعله يري عظمة الله في خلقه، "صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ" النمل:٨٨، نعطي لأنفسنا فرصة أيضًا لتدبر القرآن، ليس المقصود فقط هو تلاوة القرآن بل تدبر القرآن هذا مقصد أصلي أن نعايش هذا الكتاب العزيز، ونتأثر به لأن الله –سبحانه وتعالى– قال: "اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ –تُثني فيه الأخبار وتُعاد وتُبدأ– تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ" الزمر:٢٣، فلابد إذا قرأنا القرآن أن نتأثر "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ" ق:٣٧، ولا ذكرى أعظم من تذكير القرآن "فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ" ق:٤٥، "لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ" الأنعام:١٩.

وكان هذا منهج لأهل العلم أصلًا في ربوبية الله. مثلًا الأعرابي –قصته مشهورة– لما قالوا له بم عرفت ربك؟ قال: إن الأثر يدل على المسير، وإن البعرة تدل على البعير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، أفلا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير. –سبحانه وتعالى–

عندك الإمام أبي حنيفة؛ جماعة من السومانية زي الدهريين كده بينكروا أصلًا إن ربنا هو الخالق ولا هو الرب وهكذا، وبعدين دعوه إلى مناظرة يعني عاوزين يغلبوا الإمام أبي حنيفة، والإمام أبي حنيفة كان أية في الذكاء أصلًا، لما سأل الإمام الشافعي الإمام مالك: هل رأيت أبا

[4] صحيح الجامع

حنيفة؟ قال: رأيت إنسانًا لو أراد أن يقنعك بأن هذه الأسطوانة من ذهب لفعل. اللي هو عمود المسجد –هو من الأسمنت أو الخشب أو الحديد– لو عاوز يبينلك إن ده ذهب هيقنعك. فكان آية في الذكاء؛ المهم تأخر عن الموعد قليلًا فلما لاموه –بعد ما جه–، قال: انتظروا لقد رأيت عجبًا، قالوا: وما رأيت يا أبا حنيفة؟ قال: رأيت سفينة أتت من بلاد بعيدة تمخر عباب البحر حتي وصلت إلى الميناء، ثم قامت بإفراغ حمولتها جميعًا، وكانت تحمل بضائع كثيرة، ثم انطلقت من حيث أتت وليس فيها أحد من الناس، قالوا له: طب وده كلام، معقولة سفينة جاية مفيش عليها حد يسوقها ومحملة بضاعة وجت البضاعة نفسها حطتها وانطلقت حيث أتت؟ قال: إذا كنتم تنكرون هذا في أمر سفينة وهي لا تساوي في ملك الله شيئا فكيف تعقلون أن هذا الكون وما فيه يدار بغير خالق –سبحانه وتعالى–؟ فأقام عليهم الحجة وغلبهم رحمه الله –تبارك وتعالى–.

ولما سأل الرشيد الإمام مالك بم عرفت ربك؟ فاستدل له باختلاف الأصوات والنغمات والألوان "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ" الروم:٢٢، دي آية من آيات ربنا –سبحانه وتعالى– وياريت نتدبر سورة الروم؛ وكل ما قال الله –عز وجل– وَمِنْ آيَاتِهِ: دي آيات حجج باهرات، المفروض تخلع قلوبنا خلعًا، ونزداد بها إيمانًا ورسوخًا في الإيمان.

الإمام الشافعي لما سئل هذا السؤال: بم عرفت ربك؟ فاستدل بورقة التوت؛ قال: تأكلها دودة القز فتخرج لنا حريرًا، وتأكلها النحلة فتخرج لنا عسلًا، وتأكلها الشاة والبعير والبقرة فتخرج لنا بعرًا وروثًا، سبحان الله هو المنتج واحد بس كل واحد بياخده في طريقه، لأن سبحان الذي خلق الخلق ثم هداهم –عز وجل–.

انظر إلى عجائب أمة النحل وما فيها، نظام كما ينبغي أن يكون، آية عجب في صنع النحل للمكان الذي يلقي فيه العسل، حاجة عجيبة جدًا –سبحان الله–، نظام لا يتخلف، النحلة التي تخرج عن النظام تُقْتَل فورًا، كله في عمل دائم.

أمة النمل وقصتها مع سليمان –عليه السلام–. كلب الصيد ده عجب، الكلب المعلم المدرب ده بيقولوا –سبحان الله– إذا رأي قطيع من الغزلان وحصلت المطاردة فإنه يفرق بين الصحيح وبين العليل، ويفرق بين الذكر وبين الأنثى، فيتبع الذكر دون الأنثى، مع إن معروف إن الذكر أقوي في السرعة من الأنثى، لكن الكلب يعلم أن الذكر إذا أحس بالخوف حبسه البول، يفضل بوله يضايقه ويضغط عليه لحد لغاية ما يوقفه عن الحركة فيمسكه الكلب، لأن الغزال ده زي الريح سرعته تفوق الكلاب وغيرها من الأمور التي تُعَلَّم الصيد. فسبحان من هدى هذا الكلب لهذا الأمر. أما الأنثى فرغم أن سرعتها أقل من الذكر لكنها تستطيع أن تتبول أثناء المطاردة فلا تقف، من الذي علمه هذا؟ إنه الرب –سبحانه وتعالى– الذي خلق كل شيء ثم هدى –عز وجل–.

الثعلب هذا المشهور عند الناس بالمكر والاحتيال، لما البراغيث تكثر عليه وتؤذيه ومش عارف يعمل فيها إيه، فيروح يدور لغاية ما يلاقي حتة قماشة من الصوف، يقوم يشيلها في فمه، وينزل في مايه لا يغرق فيها، ويفضل ينزل رويدًا فتقوم البراغيث تطلع لفوق، ينزل كمان شوية تطلع لفوق، ينزل شوية تطلع لفوق، لغاية ما تتجمع على رأسه، يبدأ يسيب فمه اللي فيه القطعة فوق وينزل برأسه في الماء فتقوم كل البراغيث تتجمع على قطعة الصوف، يقوم رميها في المايه ومنطلق وقد تخلص من الأذى الذي يجده من هذه الحشرات التي تؤذيه، من الذي علمه هذا؟ إنه الله –سبحانه وتعالى–.

ألم تسمعوا بما رواه الإمام البخاري عن عمرو بن ميمون –رحمة الله عليه– أنه رأى الرجم في أمة القرود قبل إسلامه في بلاد اليمن، وإن هو رجم معاهم، هذه القردة والقرد الذين زنيا –سبحان الله–. طبعًا رواية الإمام البخاري مختصرة ولكن الحافظ ابن حجر ذكر إن في معجم الإمام الإسماعيلي القصة بطولها، أنه قال: رأيت قردة ومعها قرد مسن، فمدت يدها والقرد المسن هذا وضع رأسه على يدها، ثم جاء قردٌ شاب فغمزها، فسلَّت يدها من تحت هذا القرد المسن سلًا خفيفًا وانطلقت حتى وقع بها هذا القرد، ثم قام هذا القرد فزعًا وظل يشم في أنثاه هذا فعلم أنه قد حدث منها هذا الأمر المكروه، فصاح على أمة القرود فاجتمعوا، وراحوا دوروا لغاية ما جابوا المجرم ده الزاني ده،

ووضعوه وسط الحلقة ثم جاءوا بالحجارة فظلوا يرمونهما حتى أخملوا أنفسهما. وعمرو بن ميمون قال فرجمتهما معهم –مع أمة القرود – سبحان الله. ما هذا؟! مع إن أمة القرود أمة غير مكلفة. ده كله من عجيب صنع المولى –سبحانه وتعالى– في خلقه.

الإمام أحمد لما سئل عن معرفة الرب، قال: ها هنا حصنٌ حصين، أملس ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز –يعني بره أبيض وجوه أصفر زي الذهب–، فبينما هو كذلك إذ انصدع جداره –اتكسر هذا الحصن– فخرج منه بقى إيه؟– حيوانٌ سميعٌ بصير، ذو شكلٍ حسن وصوتٍ مليح. يعني بذلك البيضة –واخد بالك؟– اللي بيخرج منها الكتكوت بإذن الله –تعالى–.

شوف البيضة مفيش فيها مسام، لا شباك بيدخل منه هوا للي جواها ولا حاجة سبحان الله! ولذلك يقول الشاعر:

تأمل في نباتِ الأرض وانظر   إلى آثارِ ما صنع المليكُ
عيونٌ من لجينٍ شاخصاتٌ   بأحداقٍ كما الذهبُ السبيكُ
على قضب الزبرجد شاهداتٌ   بأن الله ليس له شريكُ

توحيد الألوهية

أما القسم الثاني من أقسام التوحيد –أو الثالث على ترتيبنا– فهو توحيد الألوهية، ومعناه الاعتقاد الجازم والإقرار الكامل والاعتراف التام بان الله هو الإله الحق، لا إله غيره ولا معبود سواه، المستحق للعبادة والخضوع والطاعة المطلقة،وكل معبودٍ سواه باطل.

وهذا التوحيد أحيانًا يسمى التوحيد الطلبي القصدي الإرادي، وأحيانا يسمى بتوحيد العبادة. قال الله –تعالى–: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" أي لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك، وقال الله –تعالى–: "وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ" المؤمنون:١١٧، وقال الله –تعالى–: "وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا" النساء:٣٦، وقال –سبحانه–: "وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ" الإسراء:٢٣، من أجل توحيد العبادة (الألوهية) خلق الله الجن والإنس "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" الذاريات:٥٦، إلا ليوحدون إلا ليطيعون، وقال الله –سبحانه وتعالى– مقررًا هذه الحقيقة: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ" الأنبياء:٢٥.

فتوحيد الربوبية –كما ذكرنا– يؤدي إلى توحيد الألوهية، فمن وحَّد الرب ولم يوحِّد الإله فقد أخطأ الخطأ العظيم وليس هو من التوحيد في شيء. ولذلك فإن الله –سبحانه وتعالى– أمرنا جميعًا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئًا.

وعبادته؛ هي طاعته بفعل المأمور وترك المحظور، والعبادة لا تُقبل إلا بشرطين:

الشرط الأول: الإخلاص لله –عز وجل–.

الشرط الثاني: المتابعة للرسول –صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم–.

وطبعًا الكلام في توحيد الألوهية وتوحيد العبادة كلام كثير جدًا، لا نستطيع أن نحيط به في هذه العُجَالة، لكن عاوزين نقول إن ده هو أصل

التوحيد، وهو المهم الأعظم للرسل، ومعظم خلاف الرسل مع أقوامهم كان بسبب هذا التوحيد، انظر إلى قوم نوح قالوا: "وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا" نوح٢٣:٢٤.

العرب اللي كانوا بيزعموا إنهم على ملة إبراهيم انظر كيف قابلوا النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ" ص:٥، فمعظم معارك الرسل كانت في هذا الأمر لأن الناس يغويهم الشيطان، ويجعلهم يعبدون غير الله –سبحانه وتعالى– فيضلون في هذا التوحيد.

توحيد الأسماء والصفات

أما القسم الثالث وهو توحيد الأسماء والصفات ومعناه: الاعتقاد الجازم بأن الله –عز وجل– له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وهو متصف بجميع صفات الكمال، منزّه عن صفات النقص، متفرّد بذلك عن جميع الكائنات والمخلوقات، سبحانه وتعالى.

قال الله –تعالى–: "وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" الأعراف:١٨٠، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "إنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْمًا، مَن أحْصاها دَخَلَ الجَنَّةَ"[٥]، وقال الله –تعالى–: "فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" النحل:٧٤.

وهذا الباب من أصول السير فيه –حتى لا نضل كما ضلت الأمم السابقة وضل فئام من الناس المنتسبون للإسلام– أن نثبت ما أثبته الله لنفسه ورسوله –صلى الله عليه وسلم–. لإن فيه ناس دلوقتي ربنا بيثبت صفات حينما يقول: "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ" تبارك:١، يقولك لا، اليد دي مش صفة لله –سبحانه وتعالى–، ده أثبت يد وأثبت يدين، "مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ" ص:٧٥، فيقولك لا، العرب بتقول إن اليد من معانيها القدرة، طيب هيبقى قدرتين؟! "مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ" أي بقدرتي؟! هذا شرْك عظيم وقوْل على الله بغير علم.

الاستواء؛ استوائه –سبحانه وتعالى– كما يليق بجلاله على العرش، يؤولونه بمعنى الاستيلاء، ويأتون ببيتٍ مكنوب على شاعر نصراني –الأخطل النصراني–:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ولا دم مهراق

ويؤولون أشياء كثيرة أثبتها الله –سبحانه وتعالى– لنفسه أو أثبتها الرسول –صلى الله عليه وسلم– في صحيح سنته –عليه الصلاة والسلام–.

الأمر الثاني: الإيمان بها على الوجه الذي يليق به –جل جلاله–، لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير –سبحانه وتعالى–.

الأمر الثالث: قطع الطمع عن إدراك الكيفية لصفات الله، لأنه كما لا يُعْلَم ذات الله لا تُعْلَم صفاته –عز وجل–، فاحنا بنؤمن مثلًا بأن الله استوى على العرش، وعلى المعنى الحق اللي هو المعروف من لغة العرب؛ الاستواء معناه الارتفاع والعلو والاستقرار، لكن لا نقول كيف استوى، كيف دي ده أمر بدعة، زي ما راجل جه للإمام مالك وقال للإمام: الرحمن على العرش استوى، كيف استوى؟ قال: إن الاستواء معلوم والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا صاحب بدعة، أخرجوه من المسجد. خلاص انتهت المسألة.

فيبقى هذه الأصول الثلاثة إذا اعتصم بها الإنسان يسير في هذا الباب سيرًا حسنًا، ولا تحدث له مشكلة بإذن الله.

وطن نفسك إنك ما أثبته الله –عز وجل– ورسوله –صلى الله عليه وسلم– لله، من غير أن تؤول أو تخرج إلى معانٍ تظن أن فيها تنزيه لله وفي نفس الوقت أنت تقول على الله بغير علم، إذ تُثبت له ما ليس له أو أن تمنع منه ما قد أثبته لنفسه –سبحانه وتعالى–.

فنحن نؤمن بأن الرحمن على العرش استوى الإيمان الحق كما يليق بجلاله –سبحانه وتعالى–. "إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ" فاطر:١٠، "يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ" النحل:٥٠، " أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَن فِي السَّمَاءِ"[٦].

كذلك أيضًا نؤمن بأن أعظم المخلوقات هو عرش الرحمن –سبحانه وتعالى–، وأن الكرسي حق، كما ذكر الله صفته: "وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" البقرة:٢٥٥.

---

[٥] متفق عليه

[٦] صحيح البخاري

نثبت لله -عز وجل- السمع والبصر: "إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى" طه:٤٦، نثبت له أنه يتكلم؛ وقت يشاء، كيف يشاء -سبحانه وتعالى-: "وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا" النساء:١٦٤، نثبت له الوجه -عز وجل- كما يليق بجلاله: "وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ" الرحمن:٢٧، نثبت له أنه يُحب ويبغض -عز وجل-. ونثبت له صفة الغضب، ونثبت له صفة المجيء يوم القيامة، والنزول إلى السماء الدنيا كما يليق بجلاله -جل في علاه-.

وكذلك في الأسماء الحسنى نثبت إن الأسماء الحسنى ليست محصورة في التسع وتسعين اسمًا وأنها منثورة في الكتاب والسنة، فمن أحصاها حفظًا وعملًا ودعاءً فهذا يدخل الجنة كما قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- ورحم الله الإمام الشافعي حينما قال:

آمنت بالله، وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله. صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

هذه الأمور التي إن أمنا بها على الوجه الصحيح كنا مؤمنين بالله -تبارك وتعالى-، ولا شك أن هناك ثمرات عظيمة جدًا إذا صح للعبد توحيده وإيمانه بالله، أنه يسعد في هذه الدنيا، "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" النحل:٩٧، إن ربنا -سبحانه وتعالى- بيتولى أولياءه: " أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ" يونس٦٢:٦٣، إن ربنا -سبحانه وتعالى- بيدافع عن الذين آمنوا: "إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا" الحج:٣٨، أنه -عز وجل- يهدي أهل الإيمان بإيمانهم: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ" يونس:٩.

أشياء كثيرة؛ ثمرات في الدنيا وكذلك في الأخرى، فأهل الإيمان هم المرفوعون عنده -عز وجل- قدْرًا، والموحدون له -سبحانه وتعالى- يسكنون أعالي الجنان والفردوس العلى من الجنة، "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا" الكهف١٠٧:١٠٨.

نسأل الله -سبحانه وتعالى- الكريم المتعال، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، أن يُثبت علينا إيماننا، وأن يُصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأن يصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، وأن يجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، وأن يجعل الموت راحةً لنا من كل شر.

وبهذا نكون قد وصلنا في هذه الإطلالة السريعة، إلى نهاية الحديث عن الركن الأول ألا وهو الإيمان بالله -تبارك وتعالى- في مجموع الحلقتين الماضية وهذه، وإن شاء الله -عز وجل- إن كان في العمر بقية نستكمل رحلتنا بمشيئة الله -عز وجل- مع الأركان التي تلي ذلك؛ الإيمان بالملائكة والكتب والرسل، إن شاء الله -تبارك وتعالى-.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وإلى أن نلتقي أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أركان الإيمان

الحمد لله -تعالى- القائل في كتابه الكريم: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ" البقرة:٢٨٥، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ومصطفاه، اللهم صلِّ وسلم على نبينا محمد وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين ورضي الله عن آل بيته وأصحابه من المهاجرين والأنصار.

أما بعد؛

فمرحبًا بكم إخواني وأخواتي وأهلًا وسهلًا ونحن نواصل رحلتنا المباركة هذه مع أصول الإيمان، وقد انتهينا بحمد الله -عز وجل- في لقائنا الماضي من الحديث عن أقسام التوحيد، وقد كنا قسمنا الإيمان بالله -سبحانه وتعالى- إلى الإيمان بوجوده ثم الإيمان بربوبيته ثم الإيمان بألوهيته والإيمان بأسمائه وصفاته -جل في علاه-.

واليوم نبدأ رحلة مباركة مع الإيمان بالملائكة والكتب والرسل، نسأل الله -تعالى- أن يوفقنا وإياكم إلى ما يحب ويرضى.

الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة يشتمل على أربعة أمور:

أن نؤمن بوجودهم؛ هذا أمر.

الأمر الثاني أن نؤمن بمن علمنا اسمه منهم على وجه الخصوص، ونؤمن إجمالًا بمن لم نعلم اسمه.

الأمر الثالث الإيمان بما عَلِمنا من صفاتهم في الخَلق والأخلاق.

الأمر الرابع أن نؤمن بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله -سبحانه وتعالى- وهي أعمال كثيرة كما سيأتي.

فالإيمان بالملائكة هو الإيمان بوجودهم والتصديق بأعمالهم التي يقومون بها في هذا الكون، فهم خلق من عالم الغيب لا نراهم، ولكن نؤمن بهم إيمانا جازمًا فمن أنكر وجود الملائكة فقد كفر لقوله -تعالى-: "وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا" النساء:١٣٦، وهذا حكي فيه الإجماع.

فكما ذكرنا عالم الملائكة عالم فريد، فنحن نؤمن بوجود الملائكة الكرام، وأنهم يسكنون في السماء، وهم عباد مخلوقون، خلقهم الله -عز وجل- من نور كما ثبت في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهم ذواتٌ حقيقة لإن فيه ناس بتقول إن الملائكة مجرد معني ليس هم خلق حسي، أو ليسوا قوي خفية كما يزعم بعض الناس، وأنهم خلقوا قبل خلق آدم -عليه السلام- كما يتبين هذا في القرآن الكريم وإن ربنا -سبحانه وتعالى- لما أخبرهم: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" البقرة:٣٠، يبقى إذًا الملائكة كانت موجودة قبل خلق آدم -عليه السلام-.

وثبت أن جبريل -عليه السلام- له ستمائة جناح؛ كل جناح منها قد سد الأفق، ونؤمن بأن الملائكة جندٌ من جند الله -سبحانه وتعالى- بل هم من أعظم جند الله، قادرون على التمثل والتشكل بأشكال مختلفة، سيأتي في تفصيل ذلك.

ونؤمن أيضًا بأن الملائكة كثيرون؛ جندٌ كثيفٌ جدًا لا يعلم عددهم ولا يحصيهم إلا الذي خلقهم -سبحانه- كما قال -جل في علاه-: "وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ" المدثر:٣١.

ونؤمن بأنهم عباد مقربون من الله -تعالى-، ومكرمون لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، ولا يأكلون ولا يشربون، ولا يتناكحون ولا يتناسلون، يعني الناس اللي بتقولك بياكل رز ولبن مع الملايكة ده كلام باطل غير صحيح، افتراء على الله. أو الناس اللي زعموا أن الملائكة بنات الله

هذا كفر بالله –سبحانه وتعالى–، ويجعلون لله البنات ولهم البنون، ده كفر بالله –سبحانه وتعالى–، "وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ" الأنبياء:٢٦.

الملائكة أيضًا يختلفون عن البشر بأنهم جُبِلُوا على الطاعة وعدم المعصية، مفيش عند الملائكة معصية، خلقهم الله لعبادته وتنفيذ أوامره فهم "لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" التحريم:٦، وهم يخشون الله –عز وجل– ويخافونه –سبحانه وتعالى– ويسبحونه ليل نهار لا يفترون عن عبادة الله –تبارك وتعالى–.

وإن عالم الملائكة في أعراف بني آدم عالم منزه فعلًا، حتى يمكن الكفار يعتقدون هذا الأمر انظروا إلى النسوة في قصة يوسف –عليه السلام– قالوا: "مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ" يوسف:٣١، فعالم الملائكة منزه وهم لا يؤمنون بالله –سبحانه وتعالى–.

وكذلك أيضا الملائكة لا يعلمون الغيب إلا ما أعلمهم الله –سبحانه وتعالى– به، ولذلك قال الله –عز وجل– عنهم حينما سألهم: "قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" البقرة:٣٢.

والملائكة لا يدخلون بيتًا فيه كلبٌ ولا صورةٌ ولا تمثالٌ ولا يصحبون رفقة فيها جرس، ويتأذون مما يتأذى به بنو آدم، فقال –صلى الله عليه وسلم–: "لَا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ ولَا صُورَةٌ"[٧]، "لا تَصْحَبُ المَلَائِكَةُ رُفْقَةً فيها كَلْبٌ ولا جَرَسٌ"[٨].

خلق الملائكة خلق عظيم كما قال الله –تعالى–: "وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ" النجم١٣:١٤، تقول أمنا عائشة: إنما هو جبريل لقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "إنَّما هو جِبْرِيلُ، لَمْ أرَهُ علَى صُورَتِهِ الَّتي خُلِقَ عليها غيرَ هاتَيْنِ المَرَّتَيْنِ"[٩] فمرة رآه –عليه الصلاة والسلام– حينما طلب رؤياه على الخلق وأغشي على النبي –صلى الله عليه وسلم– من شدة هول صورة جبريل –عليه السلام–، والمرة الثانية رآه على صورته في رحلة المعراج إلى السماء.

نحن نؤمن أيضا بأن الملائكة أصناف كثيرة؛ منهم الموكلون بحمل العرش "وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ" الحاقة:١٧، ومنهم موكلون بالوحي وأعظمهم طبعًا جبريل –عليه السلام–، ومنهم الموكل بالجبال، ومنهم خزنة النار وخزنة جهنم، ومنهم الموكلون بحفظ أعمال بني آدم من خيرٍ وشر، ومنهم الموكلون بقبض أرواح المؤمنين؛ ملك الموت ومن معه من الملائكة، ومنهم الموكلون بقبض أرواح الكافرين، ومنهم الموكلون بسؤال العبد إذا قبر في قبره، ومنهم من يستغفرون للمؤمنين ويصلون عليهم ويحيونهم، ومنهم من يشهد مجالس العلم وحلقات الذكر فيحفونهم بأجنحتهم كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "إنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أهْلَ الذِّكْرِ، فإذا وجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنادَوْا: هَلُمُّوا إلى حاجَتِكُمْ قالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بأَجْنِحَتِهِمْ إلى السَّماءِ الدُّنْيا" الحديث متفق عليه

ومنهم الذين يمنعون غير المقدَّر أن ينزل بالخلق: "لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ" الرعد:١١، أي شيء مش مقدر عليك لن يصيبك، الملائكة بتلاقي اتنين أو مجموعة في السيارة تعمل حادثة كله يموت ويفضل يمكن طفل رضيع أحيانًا –سبحان الله–. ومنهم من يقوم بحماية الصالحين وتفريج كرباتهم، ومنهم من يقاتل مع المؤمنين كما حدث مع نبينا –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه في غزوة بدر وأُحُد والأحزاب وغيرها. ومنهم الموكلون بحراسة مكة والمدينة من دخول الدجال، ومنهم من يصلي على النبي –صلى الله عليه وسلم– والمؤمنين ويدعون لهم ويستغفرون لهم، ومنهم من يبلغون النبي –صلى الله عليه وسلم– عن أمته السلام.

فمن ثمرات الإيمان بالملائكة العلم بعظمة الله –سبحانه وتعالى– وقوته وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق، إذا كان هذا خلق جبريل –عليه السلام– فالله أعظم وأجل.

---

٧ صحيح البخاري

٨ صحيح مسلم

٩ صحيح مسلم

كذلك أيضا من ثمرات إيماننا بالملائكة أن نشكر الله –سبحانه وتعالى– على عنايته بنا حيث وَكَّل من هؤلاء الملائكة من يقوموا بحفظنا وكتابة أعمالنا وغير ذلك من المصالح الكثيرة. وكذلك الواجب علينا أن نحب جميع الملائكة على ما يقومون به تنفيذًا لأوامر الله. اليهود مثلًا كانوا يكرهون جبريل –عليه السلام–، وعبد الله بن سلام قال للنبي –صلى الله عليه وسلم– قال: من يأتيك؟ قال: جبريل –عليه السلام–. قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة. فأنزل الله تعييرًا وتوبيخًا له: "مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ" البقرة:٩٨.

فهذا مرور سريع على الإيمان بالملائكة

الإيمان بالكتب

أما الركن الثالث فهو الإيمان بالكتب –والكتب هي التي أنزلها الله –تعالى– على رسله كلها– ركن عظيم من أركان الإيمان، احنا مش بنؤمن بالقرآن بس، بنؤمن بإيه؟ بكل الكتب السابقة وأصل كبير من أصول الدين لا يتحقق الإيمان إلا به أنزلها الله –عز وجل– أي الكتب، حجة على العالمين ومحجة للسالكين، وجحد كتاب منها جحد للجميع، والآية التي استدللنا بها على الملائكة هي التي نستدل بها هنا أيضا "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ" البقرة:٢٨٥، وقال الله –تعالى–: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ –اللي هو القرآن، وإيه كمان بقى– وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ" النساء:١٣٦، يعني كل الكتب السابقة.

وأن هذه الكتب جميعا فيها هدىً ونور وشفاء لما في الصدور، وأن الله –تعالى– أنزل كتبه على رسله لهداية البشر جمعاء، قال الله –تعالى–: "الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ" إبراهيم:١، ومن هذه الكتب التي ثبت ذكرها في الوحيين القرآن وهو كتاب نبينا –صلى الله عليه وسلم–، والتوراة كتاب موسي –عليه السلام–، والإنجيل كتاب عيسي –عليه السلام– والزبور كتاب داود، وصحف إبراهيم وموسي وطبعا أعظم هذه الكتب: القرآن والتوراة والإنجيل، وقد جاء ذكرها في مطلع سورة آل عمران: "الم * اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ" آل عمران١:٤، أي القرآن.

ولم يتكفل الله –سبحانه وتعالى– بحفظ الكتب السابقة بل استحفظ عليها الأحبار والربانيون، لكنهم لم يحافظوا عليها وما رعوها حق رعايتها فحصل فيها تغيير وتبديل فضاعت أصول، وغُيِّرت أحكامها، وأول هذه الكتب تحريفًا؛ التوراة. قال الله –تعالى–: "مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ" النساء:٤٦، وقال في الإنجيل: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ" المائدة:١٥، فالله –سبحانه وتعالى– أنزل القرآن مهيمنًا على الكتب السابقة: "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ" المائدة:٤٨، وتكفل –سبحانه وتعالى– تفضلًا منه وامتنانًا بحفظ القرآن الكريم فلم تمتد إليه يد تحريفٍ، فالقرآن العظيم هو كلام رب العالمين وكتابه المبين وحبله المتين، المتعبد بتلاوته، أنزله الله على رسوله محمد بن عبد الله –صلى الله عليه وسلم– ليختم به الكتب، كما ختم بمحمد –صلى الله عليه وسلم– الأنبياء والرسل، قال الله –سبحانه وتعالى– في شأن ذلك: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" الحجر:٩، وقال –سبحانه–: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ" النحل:٨٩، وقال –سبحانه–: "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" النحل:٤٤، وقال –عز وجل–: "وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ" الشعراء١٩٢:١٩٥.

ونزل القرآن في ثلاث وعشرين سنة على نبينا محمد ومدحه الله –عز وجل– وسماه بأسماء وصفات شتى كلها تدل على علو مكانة القرآن الكريم: "إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ" الواقعة٧٧:٧٩، وهو المعجزة الخالدة الكبرى لنبينا محمد –صلى الله عليه

وسلم–، معجز في أسلوبه ونظمه وعلومه وحكمه وتشريعه وأخباره وتأثيره ووعده ووعيده، وهو بلا شك آخر الكتب السماوية لا يُنْسَخ ولا يُبَدَّل.

أمرنا الله –سبحانه وتعالى– بتلاوة كتابه العزيز، وحفظ الكتاب الكريم نحفظه في صدورنا: "بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ" العنكبوت:٤٩، وأخبرنا –عز وجل– بأنه هدىً وشفاء وأنه يشفي من كل داء: "وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ" الإسراء:٨٢، وغير ذلك من هذه الأمور العظيمة.

فالخلاصة: أننا نؤمن بكل الكتب التي أنزلها الله؛ سواء علمنا اسمها أو لم نعلم، ولكننا نعتقد أنه ليس هناك كتاب الآن على وجه الأرض سالمًا من التحريف حاشا كتاب الله –سبحانه وتعالى–؛ القرآن الكريم.

فمن ثمرات الإيمان بالكتب: شكر الله –تعالى– على لطفه بخلقه وعنايته بهم، حيث أنزل إليهم الكتب المتضمنة إرشادهم لما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة. كذلك ظهور حكمة الله حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها "لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا" المائدة:٤٨، وكان خاتم الكتب القرآن العظيم مناسبًا لجميع الخلق إلى يوم القيامة، في كل عصر ومصر إلى قيام الساعة.

وكذلك من إيماننا بالكتب أننا نثبت صفة الكلام لله –سبحانه وتعالى–، وأن كلامه لا يشبه كلام المخلوقين، وعجز المخلوقين عن الإتيان بمثل كلامه –سبحانه–.

الإيمان بالرسل

أما الركن الرابع فهو الإيمان بالرسل

قال الله –تعالى–: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا" النساء١٥٠:١٥٢، وقد بين الله –تعالى– في كتابه الحكمة من بعثة الرسل الكرام فقال: "رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" النساء:١٦٥.

نحن معشر المسلمين نؤمن بأن جميع الرسل يدعون لأصل واحد وهو توحيد الله –عز وجل– في العبادة وينهون جميعًا عن الشرك، فالإسلام دين جميع الأنبياء وإن تنوعت شرائعهم "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ" النحل:٣٦، وقال –تعالى–: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ" الأنبياء:٢٥، وقال –تعالى–: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ" غافر:٧٨، فهذه الآية تدل على أن هناك رسل قصَّ الله –عز وجل– علينا قصصهم وهناك رسل لم يقصصهم علينا –سبحانه وتعالى–.

فالذين وردت أسماؤهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون رسولًا ونبيًا وهم: آدم أبو البشر وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وشعيب وأيوب وذو الكفل وموسى وهارون وداود وسليمان وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيي وعيسى ومحمد خاتم الأنبياء والرسل –صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين–.

وهناك أنبياء أشار القرآن إلى نبوتهم ولكننا لم نعرف أسماءهم منهم الأسباط أبناء يعقوب، فإنهم على الراجح من قول أهل العلم أنهم كانوا أنبياء، وكانوا اثني عشر رجلًا، عرَّفَنَا القرآن بواحد منهم وهو يوسف –عليه السلام–. وأيضا جاء في السنة قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أن الشمسَ لم تُحبَس لبشرٍ إلا ليوشعَ بنِ نونٍ لياليَ سار إلى بيتِ المقدسِ" والحديث عند الإمام أحمد وغيره، ويوشع بن نون هذا هو

الفتى الذي كان مع موسى –عليه السلام– في رحلته إلى الخضر، هناك خلاف في نبوة الخضر –عليه السلام– الذي ذهب إليه موسى ولكن أكثر أهل العلم على أنه نبي، وهناك من هو مختلف في نبوته منهم: ذو القرنين ومنهم تبع وغير ذلك.

وأفضل هؤلاء الرسل هم أولو العزم وهم مذكورون في قوله –تعالى–: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا" الأحزاب:٧، فهؤلاء هم أولو العزم من الرسل وهم أفضل الرسل جميعًا. فليس على وجه الأرض الآن من يؤمن بكل الكتب التي أنزلها الله غير أهل الإسلام، وليس على وجه الأرض الآن من يؤمن بكل الأنبياء والرسل الذين عرفنا الله إياهم أو الذين لم يعرفنا –سبحانه وتعالى– بهم إلا أهل الإسلام، وهذه منقبة لا تُعرف إلا لأمة محمد؛ جبر الله مصابها وأعاد إليها سؤددها وتمكينها.

فنبينا –صلى الله عليه وسلم– هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن مزار بن معد بن عدنان. وعدنان من ولد نبي الله إسماعيل بن إبراهيم الخليل –على نبينا وعليهما الصلاة والسلام–.

هو خاتم الأنبياء والمرسلين، قال الله –تعالى–: "مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ" الأحزاب:٤٠، وقال الله –عز وجل– في التنويه بشرفه: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" الأنبياء:١٠٧.

وبين –عز وجل– أنه لا ينطق عن الهوى "إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ" النجم:٤، وقال الله –سبحانه وتعالى– في شأن الإيمان به –عليه الصلاة والسلام–: "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" النساء:٦٥.

وقد آتاه الله –عز وجل– المعجزات الكثيرة وطبعًا أعظمها وأبهرها القرآن الكريم الذي ما زال غضًا كما أُنْزِل أول مرة، لم تطله يد التحريف ولا التبديل، والذي تحدى الله –عز وجل– به الإنس والجن فأبلسوا.

ومن أكبر معجزات عليه –صلى الله عليه وسلم– معجزة الإسراء والمعراج وما كان فيها من عجائب وغرائب سطَّرها الله بقوله: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" الإسراء:١.

ومن معجزاته أيضًا: انشقاق القمر؛ آية عظيمة أعطاها الله لنبيه دليلًا على نبوته. منها: تكثير الطعام بين يديه –صلى الله عليه وسلم– وقد وقع أكثر من مرة له هذا –عليه الصلاة والسلام–، وتكثير الماء ونبعه من بين أصابعه –عليه الصلاة والسلام–، تسبيح الطعام الذي يؤكل بين يديه، إبراء المرضى وشفاء بعض أصحابه على يديه دون أخذ دواء حسي، أدب الحيوان معه وإذعان الأشجار إليه وتسليم الأحجار عليه –صلى الله عليه وسلم– قبل النبوة، الحجر الذي كان يسلم على النبي –صلى الله عليه وسلم– قبل البعثة، هو يرى –عليه الصلاة والسلام– من كان يصلي خلفه؛ منقبة له –عليه الصلاة والسلام– ومعجزة، نطق ذراع الشاه المسمومة التي سمته المرأة اليهودية لقتل نبينا –صلى الله عليه وسلم–، أخبر ببعض الأمور الغيبية التي تحققت بعد ذلك، توعد الله بالعقوبة والتنكيل من استهزأ به أو لم يوقره أو خالفه –عليه الصلاة والسلام–.

فيه أشياء كثيرة من هذا الباب؛ فمعجزات النبي –صلى الله عليه وسلم– كثيرة، وكما ذكرنا إن الإيمان بالرسل منقبة لا تصح لأحد الآن إلا لأهل الإسلام، فاليهود أتوا عند موسى –عليه السلام– ثم توقفوا وينكرون نبوة المسيح –عليه السلام–، بل إنهم –والعياذ بالله– يقولون عنه بأنه ابن بغاء، والنصارى وقفوا عند عيسى طبعا ده هؤلاء الذين لم يؤلهوه أو يقولوا هو ابن الله أو ثالث ثلاثة إنما يعتقدون نبوته، لكنهم لا يؤمنون بنبوة النبي –صلى الله عليه وسلم–، يقولون محمد للعرب فقط وليس لعموم الناس، وهذا رد لله –سبحانه وتعالى– في مقالتهم: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا" سبأ:٢٨.

ولذلك فالإيمان رسل الله –عز وجل– وأنبيائه كما ذكرنا منقبة لا تصح لأحد من الناس الآن إلا لأهل الإسلام ولله الحمد والمنة، الذين آمنوا بكل كتابٍ أنزله الله وبكل رسولٍ ونبيٍ بعثه الله –سبحانه وتعالى–، فهم أسعد العالمين بهذا.

بل وإن الله –عز وجل– أخذ الميثاق على الأنبياء والمرسلين قبل نبينا –صلى الله عليه وسلم– أنهم إذا بُعِث النبي –صلى الله عليه وسلم– وهم أحياء فالواجب عليهم أن يبايعوه –صلى الله عليه وسلم–، وأن يكونوا تحت طوعه ومن جملة أمته –عليه الصلاة والسلام–، قال الله –تعالى–: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ" آل عمران:٨١، ولذلك نري بعض السفهاء من اليهود أو النصارى أو غيرهم يتعرضون بالأذى لجناب نبينا –صلى الله عليه وسلم–، أحيانًا يرسمونه ببعض الصور المسيئة أو يهينون بعض شعائر دينه أو رموز دينه، ونحن لا يحل لنا أن نبادلهم بهذه السفاهة لأنهم يزدادوا في الكفر طغيانًا بالتعرض لجناب نبينا –صلى الله عليه وسلم–، وما هذا الرجل المجرم الدنماركي الذي كان يرسم نبينا –صلى الله عليه وسلم– أو السويدي الذي يرسم الصور المسيئة انظروا كيف مات هذه الميتة السيئة؛ حادث سيارة سبحان من قدَّرَه، ورأيت مشهده وهو داخل السيارة محبوس لا يستطيع أحد أن يقترب منه، وظل يخور كما يخور الثور حتي احترق ولفظ أنفاسه ولا مغيث له، وهكذا كل من سبق وكل من يلحق في هذا السبيل، فالمقصود أننا لا يمكن أبدًا أن نتعرض لأنبيائهم ورسلهم لأننا نؤمن بهم حق الإيمان، وهم لا يؤمنون بنبينا –صلى الله عليه وسلم–.

وختامًا نقول أيها الإخوة والأخوات بأن ثمرات الإيمان بالرسل كثيرة منها: أنه لا يصح إيمان المؤمن إلا أن يؤمن بكل رسل الله وأنبيائه.

ومن ثمرات الإيمان أيضًا بالرسل أن نؤمن برحمة الله –عز وجل–؛ وعنايته بخلقه حيث أرسل إليهم الرسل الكرام للهداية والإرشاد وليستنقذوهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلالات إلى الهدي، ومن الكفر إلى الإيمان هذه رسالة الأنبياء جميعًا والمرسلين.

كذلك وجوب شكر هذه النعمة للمولى –سبحانه وتعالى–، وكذلك يجب علينا أن نحب جميع الرسل وأن نوقرهم وأن نثني عليهم بما يليق، لأنهم رسل الله وخلاصة عبيده، وهم المصطفين الأخيار.

وكذلك أيضا نوقن بأن من أطاع رسل الله –عز وجل– سَعِدَ في الدنيا وفاز بالنجاة من عذاب الله في الآخرة.

وفقنا الله وإياكم إلى ما يحب ويرضي.

وإلى هنا يكون قد انتهى لقاؤنا اليوم وإن شاء الله –عز وجل– إلى أن نلتقي أستودعكم الله –عز وجل– الذي لا تضيع ودائعه مع الركن الخامس من أركان الإيمان ألا وهو الإيمان باليوم الآخر.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أركان الإيمان باليوم الآخر ١

الحمد لله -تعالى- القائل في كتابه الكريم: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ" البقرة:٢٨٥، وأشهد أن لا إله إلا الله قيوم السماوات والأراضين، ومالك يوم الدين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين وإمام المتقين في الأولين والآخرين، فاللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد؛

فمرحبًا بكم إخواني وأخواتي ونحن نواصل هذه الرحلة المباركة في التعرف على أصول الإيمان، قد انتهينا بحمد الله -عز وجل- من التعريف بالإيمان، وتحدثنا عن الإيمان بالله -عز وجل-، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل، وهذا لقاؤنا الرابع ونبدأ رحلة جديدة مع أصل عظيم من أصول الإيمان؛ ألا وهو الإيمان باليوم الآخر.

فلا شك أن الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان العِظام، ولا يصح إيمان مؤمن إلا بأن يؤمن به، وهو من أكثر الأركان ذكرًا واقترانًا بالإيمان بالله -سبحانه وتعالى-، وذلك في تصوري لأمرين:

الأمر الأول: أنه لا يُتصور أن يقول عبد أنا أؤمن بالله ولا أؤمن بيوم القيامة! هذا غير موجود، ولا العكس أيضًا أن يؤمن بيوم القيامة ثم هو لا يؤمن بالله؛ لأن الذي يقيم القيامة هو الله -سبحانه وتعالى-، فهذا الارتباط هو أحد الأمور العِظام التي من أجلها جاءت عبارات الكتاب والسنة: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر كذا.

والأمر الثاني: جلالة هذا الأصل العظيم، وحاجة المؤمنين الماسة للتعريف به والتنويه به، ولذلك كثرة الذكر في الكتاب والسنة بالمدح تدل على فخامة هذا الأصل.

أَحصيت إحصائية متواضعة جمعت فيها الآيات القرآنية التي ذكر الله -عز وجل- فيها الأمر بالإيمان به -سبحانه وتعالى- مع ذكر اليوم الآخر، فكانت حصيلة هذه الآيات الكريمات اثنين وعشرين آية في كتاب الله -عز وجل-:

١-منها قوله -سبحانه وتعالى-: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا" البقرة:٦٢، في سورة البقرة، ومثلها أيضًا في سورة المائدة.

٢-وقوله -سبحانه وتعالى- على لسان الخليل: "ربِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" البقرة:١٢٦.

٣-وقوله -سبحانه وتعالى-: "لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" البقرة:١٧٧.

٤-وقوله -سبحانه وتعالى- في سورة البقرة أيضًا: "وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ -أي المطلقات- أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" البقرة:٢٢٨.

٥-وقوله -سبحانه وتعالى-: "وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" البقرة:٢٣٢، وهذا خطاب للأولياء، ولذلك الإمام الشافعي قال: "إن هذه الآية دليل على أن الولي شرط في صحة النكاح"، ولها قصة سبب نزول: "معقل بن يسار -رضي الله تعالى عنه- طُلِقَت أخته من ابن عم له ثم تركها حتى انقضت عدتها، وبعدين أراد أن يعقد عليها مرة أخرى فأبى، فأنزل الله هذه الآية وأمره أن يعيدها، طالما أنه راغب فيها وهي راغبة".

٦–وكذلك قوله –سبحانه وتعالى–: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" البقرة:٢٦٤.

٧–وكذلك قوله –عز وجل– في سورة آل عمران: "لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" آل عمران١١٣:١١٤.

٨–وقوله –سبحانه وتعالى–: "وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ" النساء:٣٨.

٩–وقوله –عز وجل–: "وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ" النساء:٣٩.

١٠–وقوله –عز وجل–: "فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" النساء:٥٩.

١١–وقوله –جل جلاله–: "وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا" النساء:١٣٦.

١٢–وقوله –جل في علاه–: "لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ –أهل الكتاب– وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا" النساء:١٦٢.

١٣–وقوله –سبحانه–: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" المائدة:٦٩.

١٤–وقوله في سورة التوبة: "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ * أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ" التوبة١٨:١٩.

١٥– وفيها أيضًا "لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ" التوبة:٤٤.

١٦– وقوله –جل جلاله–: "إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ" التوبة:٤٥.

١٧– وقوله –جل جلاله– في سورة التوبة أيضًا: "وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ" التوبة:٩٩.

١٨– وقوله –جل جلاله– في مطلع سورة النور: "الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" النور:٢.

١٩– وفي سورة المجادلة: "لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ" المجادلة:٢٢.

٢٠– وقوله –سبحانه– في سورة الطلاق "فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" الطلاق:٢.

فهذه اثنين وعشرين آية، وهناك ثلاث آيات فيها الارتباط بين الإيمان أو الأمر بعبادة الله ورجاء اليوم الآخر:

١– منها قوله –سبحانه وتعالى– في سورة العنكبوت: "وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ" العنكبوت:٣٦.

٢– وفي سورة الأحزاب قوله –سبحانه وتعالى–: "لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" الأحزاب:٢١.

٣– وفي سورة الممتحنة "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ –أي قوم إبراهيم– أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ" الممتحنة:٦.

وهناك آية أخيرة في سورة البقرة حكى الله –سبحانه وتعالى– عن المنافقين ووصفهم بقوله: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ" البقرة:٨، لأنهم غير مصدقين بقلوبهم.

وأما السنة فشيء كثير، "مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جارَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ"[10]، "ومن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ؛ فلا يُدخِلُ حليلتَه الحمامَ، ومن كان يؤمن باللهِ واليومِ الآخرِ؛ فلا يجلسْ على مائدةٍ تُدار عليها الخمر"[11] أشياء كثيرة ربط النبي –صلى الله عليه وسلم– في سنته، كما ربط الله –سبحانه وتعالى– وقرن بين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر.

المراد بالإيمان باليوم الآخر

طيب ما هو المراد بالإيمان باليوم الآخر؟ هو يوم القيامة؛ سُمي باليوم الآخر؛ لأنه لا يوم بعده، خلاص دا آخر الأيام، لأنه بعد هذه الدنيا حينما تنتهي خلاص ليس إلا يوم القيامة، ويسمى أيضًا يوم القيامة؛ لقيام الناس فيه لرب العالمين –سبحانه–، وله أسماء كثيرة: الحاقة، والصاخة وغيرها، أشياء كثيرة جدًا مذكورة في الكتاب والسنة.

والإيمان باليوم الآخر: هو الإيمان بالبعث في يوم عظيم هو يوم القيامة لمجازاة الخلق، فمن أحسن فله الجنة، ومن أساء فله النار، وهذا هو الإيمان الذي يجب على كل مؤمن أن يؤمن به، ويجب أن يؤمن أيضًا بكل ما بلغه من تفاصيل هذا الركن الواردة في الكتاب والسنة الثابتة عن رسوله –صلى الله عليه وسلم–.

العلاقة بين الإيمان باليوم الآخر والإيمان بالله

أما العلاقة بين الإيمان باليوم الآخر والإيمان بالله فكما ذكرنا هناك ارتباط ولازم لا انفكاك له أبدًا بين الإيمان باليوم الآخر وبين الإيمان بالله –سبحانه وتعالى–.

وكذلك فإن من كمال عدل الله –سبحانه وتعالى– وحكمته وقدرته أن يجمع الناس في الآخرة ليحكم بين العباد بالحق إذ تجد كل نفس ما قدمت، فيجازى المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته إلا أن يعفو الله عنه.

إن من يؤمن باليوم الآخر صدقًا فإنه يؤمن بالله حقًا؛ لأن اليوم الآخر من لوازم الإيمان بكمال عدل الله، فتجد المؤمن يرجو رحمة الله ويخشى عذابه.

الحكمة من اليوم الآخر

أما الحكمة من مجيء اليوم الآخر، قال الله –سبحانه وتعالى–: "لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ" النحل:٣٩، لما قالوا مفيش بعث.

وقوله –سبحانه وتعالى–: "لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ * وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ" سبإ:٤-٦.

أما إجمال هذه الحكم:

[10] صحيح البخاري

[11] تخريج مشكاة المصابيح

١– فمنها مجازاة المحسنين بالإحسان والمسيئين بما عملوا، وده مقتضى حكمة الله في خلقه، قال –تعالى–: "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ" المؤمنون:١١٥، وقوله –سبحانه وتعالى–: "إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ" يونس:٤.

٢– الأمر الثاني والحكمة الثانية العظيمة من إقامة اليوم الآخر والإيمان به: إظهار عدل الله وحكمته، وفضله ورحمته، والحكم بين الخلق بالحق، وأداء الحقوق إلى أهلها، كما قال –سبحانه–: "وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ" الأنبياء:٤٧، وقول النبي –صلى الله عليه وسلم– كما في صحيح مسلم: "لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إلى أهْلِها يَومَ القِيامَةِ، حتَّى يُقادَ لِلشّاةِ الجَلْحاءِ، مِنَ الشَّاةِ القَرْناءِ"[١٢]، يعني شاة عندها قرون فاستطالت على أختها التي هي خالية من القرون، فظلت تنطحها ظلمًا وعدوانًا، ودي أمم غير مكلفة أصلًا لا عندهم أنبياء ولا كتب ولا هم أصلًا لهم دخل بالجنة والنار! فإذا رأى الناس هذا إن الأمم غير المكلفة بيقادوا وبيقتص منها، يقولوا أمال إحنا بني آدم بقى إيه؟ حينئذ بقى يشيب الولدان "وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ" الحج:٢.

٣– الأمر الثالث: من حِكم الإيمان باليوم الآخر: إثبات صدق ما أخبرت به الرسل –عليهم الصلاة والسلام– "وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ" القصص:٦٥.

٤– الأمر الرابع: إظهار صدق أتباع الأنبياء الذين آمنوا وعملوا ودعوا إلى ما دعا إليه الأنبياء من قبلهم، وإظهار كذب الكافرين.

ما يشمله الإيمان باليوم الآخر

ويشمل الإيمان باليوم الآخر كل ما بعد الموت وتفاصيله كثيرة؛

١– منها الإيمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه، الفتنة دي اللي هي السؤال: من ربك؟ ما دينك؟ ما تقول في الرجل الذي بعث فيكم؟ وعذابه بقى إذا كان معذبًا لم يجب على هذه الأسئلة صوابًا، أو منعم إذا أجاب عليه.

٢– الأمر الثاني من مما يشمله الإيمان باليوم الآخر: أشراط الساعة وعلاماتها الكبرى والصغرى، وسنذكر تفصيلًا يسيرًا لكل هذه الأمور.

٣– الأمر الثالث: البعث والنشور.

٤– الأمر الرابع: الحشر.

٥– الأمر الخامس: الحساب.

٦– الأمر السادس: الميزان.

٧– الأمر السابع: الحوض الذي يرده المؤمنون.

٨– الأمر الثامن: الصراط والقنطرة التي هي مضروبة على متن جهنم، والطريق الوحيد الموصل إلى الجنة.

٩– الأمر التاسع: الشفاعة وأنواع الشفاعة.

١٠– الأمر العاشر: الجنة والنار.

كل هذه العشرة أمور هي تفصيلات للإيمان بهذا الركن العظيم.

أما الأمر الأول: الفتنة في القبر:

[١٢] صحيح مسلم

ففي الحديث الذي رواه البخاري وغيره أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال –عن الميت–: "ويأتيهِ ملَكانِ فيُجلِسانِهِ فيقولانِ لَهُ: مَن ربُّكَ؟ فيقولُ: ربِّيَ اللَّهُ، فيقولانِ: ما دينُكَ؟ فيقولُ: دينيَ الإسلامُ، فيقولانِ لَهُ: ما هذا الرَّجلُ الَّذي بُعِثَ فيكم؟ قالَ: فيقولُ: هوَ رسولُ اللَّهِ– صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ–"[١٣]وهذا اللفظ عند الإمام أبي داود.

وفي حديث البراء بن عازب –رضي الله عنه وعن أبيه– في البخاري وغيره: "العَبْدُ إذَا وُضِعَ في قَبْرِهِ، وتُوُلِّيَ وذَهَبَ أصْحَابُهُ حتَّى إنَّه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أتَاهُ مَلَكَانِ، فأقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ له: ما كُنْتَ تَقُولُ في هذا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ –فأما المؤمن– فَيَقولُ: أشْهَدُ أنَّه عبدُ اللَّهِ ورَسولُهُ، فيُقَالُ له: انْظُرْ إلى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أبْدَلَكَ اللَّهُ به مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: فَيَرَاهُما جَمِيعًا، وأَمَّا الكَافِرُ –أوِ المُنَافِقُ– فيَقولُ: لا أدْرِي، كُنْتُ أقُولُ ما يقولُ النَّاسُ، فيُقَالُ: لا دَرَيْتَ ولَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بمِطْرَقَةٍ مِن حَدِيدٍ ضَرْبَةً بيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَن يَلِيهِ إلَّا الثَّقَلَيْنِ"[١٤] الإنس والجن بس اللي مبيسمعوهاش، كل البهائم والطير والسمك في الماء والجبال كل خلق الله بيسمعوه ما عدا الإنس والجن.

أما نعيم القبر وعذابه: فاتفق المسلمون أو أهل السنة والجماعة على ما دلت عليه النصوص من أن نعيم القبر وعذابه حق، وهو مرتب كما ذكرنا على إيه؟ فتنة القبر؛ اللي هو السؤال، قال الله –تعالى– عن آل فرعون: "النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ" طيب النار اللي بيعرضوا عليها غدوًا وعشيًا دي هتكون فين؟ سبحان الله! الأجسام كانت إلى الغرق والأرواح إلى النار، إلى عذاب القبر "وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ" غافر:٤٦، فهذه الآية نصٌ في عذاب القبر، وقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "إنَّ أحَدَكُمْ إذا ماتَ عُرِضَ عليه مَقْعَدُهُ بالغَداةِ والْعَشِيِّ، إنْ كانَ مِن أهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أهْلِ الجَنَّةِ، وإنْ كانَ مِن أهْلِ النَّارِ فَمِنْ أهْلِ النَّارِ، يُقالُ: هذا مَقْعَدُكَ، حتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إلَيْهِ يَومَ القِيامَةِ"[١٥] رواه البخاري ومسلم، وكذلك ما صح عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "لولا ألَّا تدافَنوا" يعني إيه؟ الرسول خاف إن هو لو أخبر الناس بهذا إن هم ميدفنوش ميتهم، يسيبوه كده "لدعَوْتُ اللهَ أنْ يُسمِعَكم عذابَ القبرِ"[١٦]؛ لأن يخافوا على ميتهم إن هو إيه؟ يكون معذب فيسيبوه لا يقومون بحقه في الدفن ودي سنة آدم وذريته، رواه مسلم، وما صح عن النبي –صلى الله عليه وسلم– "أنَّهُ مَرَّ بقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَقالَ: إنَّهُما لَيُعَذَّبَانِ، وما يُعَذَّبَانِ في كَبِيرٍ"[١٧]، وكان النبي –صلى الله عليه وسلم– في صلاته وغير ذلك ودعائه يتعوذ من إيه؟ من عذاب القبر.

أما الأمر الثاني: فهو أشراط الساعة:

الأشراط: هي العلامات، ولا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله –تعالى– وحده، قال –عز وجل–: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ –سبحانه وتعالى– ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا – كأنك تلح على ربنا ومشغول بهذا الأمر– قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" الأعراف:١٨٧.

ولكن هناك علامات وهذا من رحمة الله بخلقه، وقسَّمها العلماء: علامات صغرى وعلامات كبرى، فمن العلامات الصغرى: هي التي تدل على اقتراب الساعة وهي كثيرة جدًا وقد وقع كثير منها مثل:

---

[١٣] صحيح أبي داود
[١٤] صحيح البخاري
[١٥] صحيح مسلم
[١٦] صحيح ابن حبان
[١٧] صحيح البخاري

١– بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– كما في الحديث "بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةَ كَهاتَيْنِ"[١٨] وأشار النبي –صلى الله عليه وسلم– بإصبعه السبابة والوسطى.

٢– وكذلك موت النبي –صلى الله عليه وسلم– كما في حديث عوف بن مالك: أَتَيْتُ النبيَّ –صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ– في غَزْوَةِ تَبُوكَ وهو في قُبَّةٍ مِن أَدَمٍ –وهو الجلد المدبوغ– "فَقالَ: اعْدُدْ سِتًّا بيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ" وده مرض بيصيب أنوف الغنم تموت منه بسرعة جدًا "ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا" يعني المال هيكتر مع الناس لغاية إنك تدي لواحد مش ١٠٠ جنيه ورق ملهاش لازمة! لأ ده مئة دينار، الدينار أربعة وربع جرام ذهب، الـ ١٠٠ دينار دول ٤٢٥ جرام ذهب شوف يعملوا النهاردة حوالي ٣٠٠، ٤٠٠ ألف، تخيل ياخد المئة دينار دي وغضبان زعلان طول النهار إن هو يدوني مئة دينار بس! وهذا يدل إن المال وفير وكتير في إيد الناس "ثُمَّ فِتْنَةٌ لا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إلَّا دَخَلَتْهُ" سبحان الله! ربما الفتنة دي تبقى الموبايل ده، ربما تبقى وسائل التواصل، التليفزيونات، السينمات، الحاجات اللي هي مخلتش بيت إلا ودخلته سبحان الله، والله أعلم بما سيكون بعدنا أو من يطيل الله في عمره منا، أشياء كل يوم بتجتاح الناس، فما بين مستخدم لها في الخير وما بين فئام كثير من الناس يستخدمونها في الشر –عياذًا بالله من هذا– "ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بيْنَكُمْ وبيْنَ بَنِي الأصْفَرِ" اللي هم الروم "فَيَغْدِرُونَ" يعني بعد ما عملنا معاهم صلح قعدوا شوية كده وبعدين غدروا؛ نقضوا العهد والصلح "فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً" أي: راية "تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ" اللي هي راية "اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا"[١٩]، يعني قوام جيش بني الأصفر ده هيبقى تسعمئة وستين ألف بني آدم واخد بالك؟ يعني قريب من المليون.

٣– وكذلك أيضًا ضياع الأمانة، لما سئل النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال عن الساعة: "إذا ضُيِّعَتِ الأمانَةُ فانْتَظِرِ السَّاعَةَ"[٢٠]

٤– منها زخرفة المساجد والتباهي فيها.

٥– منها تطاول الرعاة في البنيان، اللي هم الرعاة يعني يتطاولون في البنيان، واحنا شايفين أهو في دول الخليج سباق محموم برج مش عارف إيه، ويطلع برج يغطي عليه وهكذا قاعدين الشاطر اللي يعلي زي ما بيقولوا، وكلها نبوءات النبي –صلى الله عليه وسلم– وإخباراته بما أعلمه الله إياه.

٦– ومنها تقارب الزمن.

٧– ومنها ظهور الفتن.

٨– وكثرة الزنا والفسوق.

٩– وكثرة القتل والزلازل، الهرج الهرج.

فهذه علامات صغرى وغيرها كثير جدًا.

وهناك العلامات الكبرى: وهي التي تكون بين يدي الساعة وهي عشر علامات لم يظهر منها شيء بعد، الحقيقة أنها أكثر من عشرة لورود أحاديث أخرى.

فمنها أن النبي –صلى الله عليه وسلم– اطلع على الصحابة وهم يتذاكرون فَقالَ: ما تَذَاكَرُونَ؟ قالوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قالَ: إنَّهَا لَنْ تَقُومَ حتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ، الدُّخَانَ" "يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ" الدخان: ١٠، ومنها "وَالدَّجَّالَ" ومنها "وَالدَّابَّةَ" التي تَسِم الناس، فتَسِم المؤمن بأنه مؤمن يكتب على جبينه، والكافر تكتب عليه كافر ومنها "وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِهَا" وحينئذ يغلق باب التوبة،

[١٨] صحيح البخاري
[١٩] صحيح البخاري
[٢٠] صحيح البخاري

ومنها "وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ" ومنها خروج "وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ" شر خلق الله بعد إبليس، ومنها "وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذلكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إلى مَحْشَرِهِمْ"[٢١] وهذا الحديث أكثر المحققين على أن هذه من العلامات الكبرى، لكن هناك علامات كبرى أيضًا هي التي تقوم على إثرها الساعة:

١- منها ظهور المهدي الذي هو من نسل الحسن بن عليٍّ، واسمه على اسم النبي، واسم أبيه على اسم والد النبي -صلى الله عليه وسلم-، هو الذي سينزل عيسى في زمانه، ويخرج الدجال في زمانه، وغير ذلك.

٢- ومنها هدم الكعبة، نسأل الله أن يمتعنا بها ما أحيانا.

٣- ومنها رفع القرآن من الأرض، يُرفع، يعود إلى من تكلم به -سبحانه وتعالى-، فلا يبقى منه في الأرض آية كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم-.

أما الأمر الثالث الذي يشتمل عليه الإيمان باليوم الآخر: فهو البعث؛

والبعث: هو إحياء الناس بعد موتهم يوم القيامة، وهذا الأمر كان الكفار ينكرونه غاية النكارة، يعني إيه لا يكادون يصدقون بهذا الأمر، فأمر الله -عز وجل- النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يقسم على أن البعث قائم والقيامة قائمة في ثلاثة مواضع من كتابه:

الآية الأولى: في سورة يونس -عليه السلام- وقوله -سبحانه وتعالى-: "وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ" يونس:٥٣.

والآية الثانية: في سورة سبأ وقوله -سبحانه وتعالى-: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ" سبأ:٣.

والموضع الثالث: في سورة التغابن وقوله -سبحانه وتعالى-: "زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ" التغابن:٧.

فمن الأدلة على البعث وهي كثيرة جدًا في كتاب الله -عز وجل-:

قوله -سبحانه وتعالى- وهو يُذَكِّر بابتداء الخلق على غير مثال سبق، وهو قادر -سبحانه- على إعادة بعثه، فالإعادة في عقل العقلاء أهون -والكل على الله هين- من الإنشاء والابتداء، قال الله -عز وجل- في سورة يس: "أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ" يس٧٧:٧٩، -سبحانه وتعالى-.

وقوله -عز وجل- في سورة الروم "وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" الروم:٢٧.

وفي سورة مريم "وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا * فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا" مريم٦٦:٦٨.

وفي سورة ق: "أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ" ق:١٥.

ومن ذلك أنه -سبحانه وتعالى- يذكر الناس بإحياء الأرض بالمطر بعد موتها دلالة على البعث؛ لأن دي كانت أرض ميتة أهي فأحياها الله بالمطر فكذلك يحيي الله -عز وجل- الخلق بعد فنائهم قال -تعالى-: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا -الشاهد هنا- وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا

[٢١] صحيح مسلم

الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ" الحج٥:٧.

وقوله –سبحانه وتعالى–: "فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" الروم:٥٠.

أيضًا من أدلة البعث أنه –سبحانه وتعالى– يُذَكِّر بأن من خلق السماوات والأرض قادر على البعث –سبحانه وتعالى– كما في سورة الأحقاف: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" الأحقاف:٣٣،

وقوله –سبحانه وتعالى– في سورة غافر: "لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" غافر:٥٧.

ومنها الإخبار ببعض الوقائع الحسية التي تدل على البعث؛ كإحياء قتيل بني إسرائيل قال –تعالى–: "فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" البقرة: ٧٣، أو إحياء القرية التي مر عليها ذاك العبد الصالح: "أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ" البقرة:٢٥٩، الآيات.

أما كيفية البعث: فأول يوم القيامة النفخ في الصور؛ نفخة الفزع والصعق، ثم نفخة البعث التي تعود فيها الأرواح إلى الأجساد فتحيا، ثم تحشر الخلائق إلى رب العباد.

والصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل –عليه السلام– الموكل بالنفخ، قال الله –تعالى–: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ" الزمر:٦٨، وثبت أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أخبر أن الله ينزل مطرًا "فَتَنْبُتُ منه أَجْسادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فيه أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ"[٢٢] والحديث في صحيح مسلم.

كذلك أيضًا الأمر الرابع من الإيمان باليوم الآخر: الحشر: وهو جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والفصل بينهم، فمعشر المؤمنين يؤمنون بأنهم "مُلاقُو اللَّهِ –عز وجل– حفاةً عُراةً مُشاةً غُرْلًا"[٢٣] أي: غير مختونين.

من الأدلة على الحشر: قوله –سبحانه–: "قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ" الواقعة٤٩:٥٠، وقوله –سبحانه وتعالى–: "يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ" ق:٤٤، وقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "يَجْمَعُ اللَّهُ –يوم القيامة– الأوَّلِينَ والآخِرِينَ في صَعِيدٍ واحِدٍ، فيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ ويُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وتَدْنُو منهمُ الشَّمْسُ"[٢٤] رواه البخاري ومسلم، وقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَومَ القِيامَةِ علَى أرْضٍ بَيْضاءَ عَفْراءَ، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ. قالَ سَهْلٌ أوْ غَيْرُهُ: ليسَ فيها مَعْلَمٌ لأحَدٍ"[٢٥] رواه البخاري.

الأمر الخامس الحساب: وهو اطلاع الله –تعالى– عباده على أعمالهم قبل الانصراف من المحشر.

من الأدلة على ذلك: قوله –سبحانه–: "يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ" المجادلة:٦، وقوله –سبحانه–: "يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ" آل عمران:٣٠، وقوله –سبحانه–: "وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا" الكهف:٤٩، "فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا" الإنشقاق٧:٨.

---

[٢٢] صحيح مسلم
[٢٣] صحيح البخاري
[٢٤] صحيح البخاري
[٢٥] صحيح البخاري

وأول من يحاسب من الأمم جميعًا: هي أمة محمد –صلى الله عليه وسلم–، كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "نَحْنُ الآخِرُونَ مِن أَهْلِ الدُّنْيا، والأوَّلُونَ يَومَ القِيامَةِ، المَقْضِيُّ لهمْ قَبْلَ الخَلائِقِ"[٢٦] عشان ربنا –سبحانه وتعالى– ينعم هذه الأمة ويخفف عنها شدائد الحساب يكونوا أول أمة يفصل بينها، فيدخلون الجنة كل من أسلم ومات على إسلامه موحدًا لله رب العالمين.

وأول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء؛ لقوله –صلى الله عليه وسلم–: "أَوَّلُ ما يُقْضَى بيْنَ النَّاسِ في الدِّمَاءِ"[٢٧] رواه البخاري.

وطبعًا الكتب، فبعد الحساب تنشر صحائف الأعمال، قال الله –تعالى–: "وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ" التكوير:١٠، أي: تفتح وتبسط، فآخذٌ كتابه بيمينه: قال الله –تعالى–: "فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا" الإنشقاق٧:٨، وآخذ بشماله "وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ" الحاقة:٢٥.

وكذلك الأمر السادس الميزان: وهو ما يضعه الله –تعالى– يوم القيامة لوزن الصحائف وأعمال العباد وغيره، وهو ميزان حقيقي له كفتان لا يعلم قدره ولا كيفيته إلا الله، قال الله –تعالى–: "وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا" الأنبياء:٤٧، وقوله –سبحانه–: "فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" المؤمنون:١٠٢، "وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ" الأعراف:٩، وقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "كَلِمَتانِ حَبِيبَتانِ إلى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتانِ علَى اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ في المِيزانِ :سُبْحانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ، سُبْحانَ اللَّهِ العَظِيمِ"[٢٨] متفق عليه، وقوله –عليه الصلاة والسلام– "الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ المِيزانَ"[٢٩] رواه مسلم.

والأمر السابع: الورود على الحوض: وهو مجتمع الماء النازل من الكوثر، وهو حوض النبي –صلى الله عليه وسلم– في عرصات يوم القيامة، يرد عليه من أجابه واتبعه من أمته.

فمن الأدلة: قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، ماؤُهُ أبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، ورِيحُهُ أطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وكِيزانُهُ كَنُجُومِ السَّماءِ، مَن شَرِبَ مِنْها فلا يَظْمَأُ أبَدًا"[٣٠] رواه البخاري ومسلم. نسأل الله أن يسقينا من حوض النبي –صلى الله عليه وسلم– شربة هنية لا نظمأ بعدها أبدًا.

وأول من يرد عليه فقراء المهاجرين؛ قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أوَّلُ النَّاسِ ورودًا عليهِ فقراءُ المهاجرينَ"[٣١]، وأنه يطرد عنه من ابتدع وأحدث في دين الله؛ قال: "أنا فَرَطُكُمْ علَى الحَوْضِ، ولَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجالٌ مِنكُم ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي" والاختلاج: إنه يعدل بهم عن الحوض، ويباعد بينهم وبين الحوض "فيُقالُ: إنَّكَ لا تَدْرِي ما أحْدَثُوا بَعْدَكَ"[٣٢].

والفرق بين الحوض والكوثر؛ فالكوثر هو الخير الكثير "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ" الكوثر:١، ومن جملة هذا الكوثر أن ينزل ماء من نهر الكوثر إلى حوض النبي –صلى الله عليه وسلم–.

---
[٢٦] صحيح مسلم
[٢٧] صحيح البخاري
[٢٨] صحيح البخاري
[٢٩] صحيح مسلم
[٣٠] صحيح البخاري
[٣١] صحيح الترمذي
[٣٢] صحيح البخاري

والأمر الثامن هو الصراط: وهو جسر منصوب على جهنم ليعبر الناس عليه حسب أعمالهم، فناجٍ مخدوش، وناجٍ مسلَّم وهؤلاء يدخلون الجنة، أما المكردس فيقع ويلقى به في جهنم.

من الأدلة على الصراط قوله -سبحانه وتعالى-: "وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا" مريم٧١:٧٢، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ويُضْرَبُ الصِّرَاطُ بيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فأكُونُ أنَا وأُمَّتي أوَّلَ مَن يُجِيزُهَا"[٣٣] متفق عليه، ويكون الصراط زَلِقا، يتفاوت الناس في المرور عليه تفاوتًا عظيمًا، منهم من يمر بسرعة الريح كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كالبرق وغير ذلك، نسأل الله -سبحانه وتعالى- السلامة وأن نعبر على هذا الصراط؛ لأن الذي يعبر سيجد الجنة أمامه فيدخلها بإذن الله -تبارك وتعالى-، ومن ها هنا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "يَخْلُصُ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فيُحْبَسُونَ علَى قَنْطَرَةٍ بيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، فيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِن بَعْضٍ مَظالِمُ كانَتْ بيْنَهُمْ في الدُّنْيا، حتَّى إذا هُذِّبُوا -الحاجات بقى اللي هي النفسية اللي احنا بنقول عليها فلان ده ما بحبوش، فلان مش عارف ايه كذا، فده ربنا ما بينصبلهاش الموازين، بيسيب طالما هم كلهم من أهل الجنة يسيبهم بقى لما ييجوا داخلين، الجنة طيبة لا يدخلها إلا الطيب ظاهرًا وباطنًا، ربنا -سبحانه وتعالى- يزيل هذه الأشياء من بينهم ويأمرهم- فيُحْبَسُونَ علَى قَنْطَرَةٍ بيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، فيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِن بَعْضٍ مَظالِمُ كانَتْ بيْنَهُمْ في الدُّنْيا، حتَّى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أُذِنَ لهمْ في دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أهْدَى -يعني أعرف- بمَنْزِلِهِ في الجَنَّةِ منه بمَنْزِلِهِ كانَ في الدُّنْيا"[٣٤] مفيش حد عاقل بيتوه عن بيته في الدنيا، ده بقى هو أهدى لبيته، وأعرف به من بيته الذي كان في الدنيا.

وإلى هنا إخواني وأخواتي ينتهي لقاؤنا اليوم، نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، وأن يملأ قلوبنا بالإيمان به، وأن يجعلها عامرة بالإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وعلى وعد إن شاء الله -عز وجل- بلقاء جديد بمشيئة الله نستكمل ما تبقى معنا من الحديث على هذا الركن العظيم ألا وهو الإيمان باليوم الآخر، وإلى أن نلتقي أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، ودمتم في أمان الله وحفظه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[٣٣] صحيح البخاري
[٣٤] صحيح البخاري

الإيمان باليوم الآخر ج؟

الحمد لله -تعالى- القائل في كتابه: "وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ" سبإ:٢٣، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخِيرته من خلقه وخليله، سيد من يشفع يوم القيامة عند ربه -سبحانه وتعالى- للفصل بين القضا، ويشفع لأمته -صلى الله عليه وسلم- سِيَّما أصحاب الذنوب والمعاصي، أما بعد؛

فمرحبا بكم إخواني وأخواتي، وأهلًا وسهًلا ونواصل رحلتنا على وعدنا السابق لنكمل ما بدأناه من الحديث عن اليوم الآخر، قد انتهينا بحمد الله -عز وجل- من الحديث عن كثير من الأمور في اليوم الآخر، الحديث عن عذاب القبر ونعيمه، وعن البعث، وعن المحشر، وعن الميزان، وحوض النبي -صلى الله عليه وسلم-، والصراط، ووزن الأعمال وغير ذلك من هذه الأمور.

وبقى لنا في الحديث عن اليوم الآخر أمران: أما الأمر الأول فهو عن الشفاعة، والمتمم للعشرة: هو الحديث عن الجنة والنار، رزقنا الله وإياكم الجنة والفردوس الأعلى منها، وأعاذنا الله وإياكم من النار.

الشفاعة وأنواعها

أما الشفاعة: فهي سؤال الله -سبحانه وتعالى- التجاوز عن الذنوب والآثام للغير، ويندرج تحتها عدة أنواع:

النوع الأول: الشفاعة العظمى في أهل الموقف، عندما يشتد البلاء بالناس في الموقف العظيم ويطول مكثهم، يسعون ليُشفع لهم عند ربهم بتخليصهم من كربات الموقف وأهواله، فيعتذر أولو العزم من الرسل عنها حتى ينتهي الأمر إلى نبينا -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن هذه الشفاعة العظمى هذه خاصة بنبينا -صلى الله عليه وسلم-، فيشفع لهم ليقضي الله -تعالى- بينهم ويتخلصوا من هول الموقف، وهي من المقام المحمود الذي وعده الله إياه: "عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا" الإسراء:٧٩، فمن ذلك في حديث الشفاعة وهو حديث طويل جدًا الحقيقة قوله -صلى الله عليه وسلم-: "أنا سَيِّدُ الناسِ يومَ القيامَةِ هل تَدْرونَ بِمَ ذاكَ؟ يجمعُ اللهُ -الناس- يومَ القيامةِ الأولينَ والآخرينَ في صعيدٍ واحدٍ فيُسْمِعُهُمُ الداعِي ويَنفُذُهمُ البصرُ وتدنو الشمسُ فتبلغُ الناسُ مِنَ الغمِّ والكرْبِ مالا يُطِيقونَ وما لا يَحْتَمِلونَ فيقولُ بعضُ الناسِ لبعضٍ: ألَا تَرَوْنَ ما قَدْ بَلَغَكُم ألَا تنظرونَ مَنْ يشفَعُ لكم إلى ربِّكم فيقولُ بعضُ الناسِ لبعضٍ: أبوكم آدمُ" وفي الحديث أن آدم يعتذر عن هذا لكونه أكل من الشجرة وكذا، "فيقولُ لَهُم: إنَّ ربِّي قَدْ غضِبَ اليومَ غضَبًا لم يغضبْ قبلَهُ ولَنْ يغضبَ بعدَه مثلَهُ ... اذهبوا إلى نوحٍ" فيعتذر نوح -عليه السلام-، ثم يحيلها إلى إبراهيم، فيحيلها إلى موسى، فيحيلها إلى عيسى، ولم يذكر عيسى -عليه السلام- ذنبًا له ولكن يقول: "اذهبوا إلى محمدٍ -صلى الله عليه وسلم-، فيأتونَ -محمدًا- فيقولونَ: يا محمدُ أنتَ رسولُ اللهِ وخاتَمُ الأنبياءِ قَدْ غفرَ اللهُ لَكَ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذنبِكَ وما تأَخَرَ، اشفع لنا إلى ربِّكَ أما ترى ما نحنُ فيه ألَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنا؟" قال: "فأنْطَلِقُ حتى آتِيَ تَحْتَ العرْشِ فأقَعُ ساجدًا لِربِّي -عزَّ وجلَّ-، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وحُسْنِ الثناءِ عليْهِ شيئًا لم يفتحْهُ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِي ثُمَّ يقولُ: يا محمدُ ارفعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، واشفعْ تُشَفَّعْ، فأَرْفَعُ رَأْسِي فأقولُ: يا ربِّ أُمَّتِي ثلاثَ مراتٍ فيُقالُ: يا مُحَمَّدُ أَدْخِلِ الجنةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عليهِم مِنَ البابِ الأيْمَنِ مِنْ أبوابِ الجنةِ وهم شركاءُ الناسِ فيما سِوى ذَلِكَ مِنَ الأبْوابِ ثُمَّ قال: والذي نفسي بِيَدِهِ إنَّ ما بينَ المصراعينِ مِنْ مصاريعِ الجنَّةِ كما بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ" يعني في بلاد اليمن "وكما بينَ مَكَّة وبُصْرَى"[٣٥] في بلاد مسافات واسعة جدًا، رواه البخاري، هذه الشفاعة الأولى التي تسمى الشفاعة العظمى.

[٣٥] تخريج كتاب السنة

أما الشفاعة الثانية: شفاعته –صلى الله عليه وسلم– في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، كقوله –عليه الصلاة والسلام–: "يَدْخُلُ مِن أُمَّتِي الجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بغيرِ حِسابٍ، فقالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللهِ، ادْعُ اللهِ أنْ يَجْعَلَنِي منهمْ"[٣٦] وعكاشة بن محصن كما في الرواية الأخرى قال: "اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ منهمْ" الحديث في البخاري ومسلم.

الشفاعة الثالثة: شفاعته –صلى الله عليه وسلم– في أهل الجنة أن يؤذن لهم في دخول الجنة، قال –عليه الصلاة والسلام–: "آتِي بابَ الجَنَّةِ يَومَ القِيامَةِ فأسْتَفْتِحُ، فيَقولُ الخازِنُ: مَن أنْتَ؟ فأقُولُ: مُحَمَّدٌ، فيَقول: بكَ أُمِرْتُ لا أفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ"[٣٧]، ما شاء اللّه، عطايا ربنا –عز وجل– للنبي –صلى الله عليه وسلم– شديدة وكثيرة وغزيرة وكلها تدل على احتفاء الرب بعبده محمدًا –صلى الله عليه وسلم–، رواه مسلم.

والأمر الرابع، الشفاعة الرابعة: شفاعته –صلى الله عليه وسلم– في رفع درجات أهل الجنة في الجنة، قال –صلى الله عليه وسلم– شافعًا لأبي سلمة: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ في المَهْدِيِّينَ"[٣٨] رواه مسلم.

الشفاعة الخامسة: شفاعته –صلى الله عليه وسلم– في أقوام استحقوا دخول النار بقدر ذنوبهم ألا يدخلوها، قال –عليه الصلاة والسلام–: "شفاعتي لأَهْلِ الكبائرِ مِن أمَّتي"[٣٩] رواه الترمذي وغيره.

الشفاعة السادسة: شفاعته –صلى الله عليه وسلم– في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار أن يخرج منها، قال –عليه الصلاة والسلام–: "خْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ"[٤٠] رواه البخاري.

الشفاعة السابعة: شفاعته –صلى الله عليه وسلم– في تخفيف العذاب عمن كان يستحقه؛ كشفاعته في عمه أبي طالب قال: "هو في ضَحْضَاحٍ مِن نَارٍ، ولَوْلَا أنَا لَكانَ في الدَّرَكِ الأسْفَلِ مِنَ النَّارِ"[٤١] رواه البخاري ومسلم. يعني ايه؟ النار كده إلى عقبيه يعني، وثبت في الحديث الآخر أن أبا طالب أهون أهل النار عذابًا ويظن أنه أشدهم عذابًا.

الشفاعة الثامنة: شفاعة الملائكة والنبيون والشهداء والصديقون، قال –صلى الله عليه وسلم–: "ثم يُؤْذَنُ لِلمَلائِكَةِ وَالنَّبِيّينَ وَالشُّهَداءِ أن يَشفَعوا، فَيَشفَعونَ، وَيُخرِجونَ، وَيَشفَعونَ، وَيُخرِجونَ، وَيَشفَعونَ، وَيُخرِجونَ"[٤٢] رواه أحمد في مسنده.

الشفاعة التاسعة: وتبقى الشفاعة الكبرى وهي شفاعة أرحم الراحمين –سبحانه وتعالى–، قال: "فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ والمَلَائِكَةُ والمُؤْمِنُونَ، فيَقولُ الجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فيُخْرِجُ أقْوَامًا قدِ امْتُحِشُوا –يعني احترقوا من شدة العذاب– فيُلْقَوْنَ في نَهَرٍ بأَفْوَاهِ الجَنَّةِ، يُقَالُ له: مَاءُ الحَيَاةِ"[٤٣]، وإن من يتأمل هذه الشفاعات يظهر له عظيم رحمة الله بعباده، وعظيم فضله عليهم فهو لم يخلقهم ليعذبهم، بل يسر لهم جميع الأسباب التي يرحمهم بها بموجب فضله –جل جلاله–، ولن يعذب مِن خَلقه إلا من أبى وعاند وكفر بموجب عدله –جل جلاله–.

شروط الشفاعة

أما شروط الشفاعة، فالشفاعة لا تصح من أحد من الشفعاء إلا بشرطين:

---

[٣٦] صحيح مسلم
[٣٧] صحيح مسلم
[٣٨] صحيح مسلم
[٣٩] صحيح الترمذي
[٤٠] صحيح البخاري
[٤١] صحيح البخاري
[٤٢] تخريج المسند
[٤٣] صحيح البخاري

الشرط الأول: رضا الله عن الشافع، فإذا كان غير مرضي عنهم "فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ" المدثر:٤٨، ولا يؤذن له أصلًا في الشفاعة، "من ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ" البقرة:٢٥٥، فلا بد أن يرضى عنه –سبحانه وتعالى–.

الشرط الثاني: إذن الله –تعالى– للشافع أن يشفع، يبقى رضاه عن الشافع وإذنه له أن يشفع، قال –تعالى–: "يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا" طه:١٠٩، وقوله –سبحانه وتعالى–: "وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ" النجم:٢٦.

الجنة والنار

الأمر العاشر وهو المتمم عن الحديث عن اليوم الآخر؛ الحديث عن الجنة والنار باعتبار أن هذا هو المستقر، وهذا هو المآل، والجنة: هي الدار التي أعدها الله لأوليائه وأصفيائه وأهل توحيده وطاعته، والنار: هي الدار التي أعدها الله –تعالى– للكافرين.

فالجنة: دار المؤمنين، ولها عدة أسماء:

–منها الجنة.

–ومنها دار السلام.

–ومنها دار المقامة، وجاءت بذلك الآيات والأحاديث، قال –تعالى–: "لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ" الأنعام:١٢٧، "وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ –اللي هي الجنة– لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ" فاطر٣٤:٣٥.

–وهي كذلك يقال لها: دار الخلد، ومنها جنة المأوى إلى غير ذلك.

أما وصف الجنة: فقد جاءت الآيات الكثيرة والأحاديث بإبراز وتفصيل نعيم الجنة في آيات وأحاديث كثيرة، منها قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "فيها ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علَى قَلْبِ بَشَرٍ"[٤٤].

ومنه قوله –سبحانه وتعالى–: "فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" السجدة:١٧، وقوله –سبحانه وتعالى– في سورة البقرة: "وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" البقرة:٢٥.

وقد وصف سُررها وخَدمها وشرابها وطعامها؛ قال –سبحانه–: "وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ * عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" الواقعة١٠:٢٤.

الأمر الثالث: أن عرض الجنة كعرض السماوات والأرض، "سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" الحديد:٢١.

أما أبوابها: فهي ثمانية كما صح بذلك الحديث عن النبي –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم–.

وأما درجاتها: "إنَّ في الجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ، أعَدَّها اللَّهُ لِلْمُجاهِدِينَ في سَبيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ ما بيْنَهُما كما بيْنَ السَّماءِ والأرْضِ، فإذا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فإنَّه أوْسَطُ الجَنَّةِ، وأَعْلَى الجَنَّةِ، وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ –سبحانه وتعالى–، ومِنْهُ تَفَجَّرُ أنْهارُ الجَنَّةِ"[٤٥] رواه البخاري.

---

[٤٤] صحيح البخاري

[٤٥] صحيح البخاري

وقال النبي –صلى الله عليه وسلم– في وصف بناء الجنة: "لبنةٌ –يعني طوبة– من فضَّةٍ ولبنةٌ من ذَهَبٍ، وملاطُها –اللي احنا بنقول عليه الُمونَة– المسكُ الأذفرُ، وحصباؤُها اللُّؤلُؤُ والياقوتُ، وتُربتُها الزَّعفرانُ مَن دخلَها ينعَمُ ولا يبأسُ، ويخلدُ ولا يموتُ، لا تبلَى ثيابُهُم، ولا يفنى شبابُهُم"[46] رواه الترمذي، اللهم ارزقنا الفردوس الأعلى من الجنة.

وقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "ولَقابُ قَوْسِ أحَدِكُمْ –أوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ– مِنَ الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما فِيهَا"[47]، وقال اللَّهُ –تبارَكَ وتعالَى–: "أعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحِينَ، ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علَى قَلْبِ بَشَرٍ. قالَ أبو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: "فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ" السجدة:١٧"[48].

وأما الخلود؛ فقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "يُنادِي مُنادٍ: إنَّ لَكُمْ –يعني أهل الجنة– أنْ تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبَدًا –مفيش مرض في الجنة– وإنَّ لَكُمْ أنْ تَحْيَوْا فلا تَمُوتُوا أبَدًا –مفيش فيها موت– وإنَّ لَكُمْ أنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبَدًا –يعني مفيش زيادة في السن كمان– وإنَّ لَكُمْ أنْ تَنْعَمُوا فلا تَبْأَسُوا أبَدًا –نعيم، نعيم، نعيم دائم– فَذلكَ قَوْلُهُ –تعالى–: "وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" الأعراف:٤٣"[49] رواه مسلم.

وأما أعظم نعيم يناله أهل الجنة: شوف كل النعيم بقى الخمر والأنهار والوِلْدَان والحرير والدِيباج والاستبرق واللؤلؤ كل دا شيء، وهناك نعيم من وراء هذا أعظم، ألا وهو: رؤية أهل الجنة لوجه الله –تبارك وتعالى– وهي المذكورة في قوله –تعالى–: "لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ" الحسنى هي الجنة "وَزِيَادَةٌ" هي: النظر لوجه الله الكريم؛ ولذلك قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "إنَّ اللَّهَ –تَبارَكَ وتَعالَى– يقولُ لأهْلِ الجَنَّةِ: يا أهْلَ الجَنَّةِ، فيَقولونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنا وسَعْدَيْكَ، فيَقولُ: هلْ رَضِيتُمْ؟ فيَقولونَ: وما لنا لا نَرْضَى وقدْ أعْطَيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحَدًا مِن خَلْقِكَ؟ فيَقولُ: أنا أُعْطِيكُمْ أفْضَلَ مِن ذلكَ، قالوا: يا رَبِّ، وأَيُّ شيءٍ أفْضَلُ مِن ذلكَ؟ فيَقولُ: أُحِلُّ علَيْكُم رِضْوانِي، فلا أسْخَطُ علَيْكُم بَعْدَهُ أبَدًا"[50]، وفي الحديث الآخر عند الإمام مسلم: إذا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قالَ: يقولُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: تُرِيدُونَ شيئًا أزِيدُكُمْ؟ فيَقولونَ: ألَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنا؟ ألَمْ تُدْخِلْنا الجَنَّةَ، وتُنَجِّنا مِنَ النَّارِ؟ قالَ: فَيَكْشِفُ الحِجابَ، فَما أُعْطُوا شيئًا أحَبَّ إليهِم مِنَ النَّظَرِ إلى رَبِّهِمْ عزَّ وجلَّ" وفي رواية: وزادَ ثُمَّ تَلا هذِه الآيَةَ: "لِلَّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وزِيادَةٌ" يونس:٢٦"[51]، وكما قال الله –سبحانه وتعالى–: "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ" القيامة٢٢:٢٣،

فدا أعلى نعيم لأهل الجنة ربنا يحل على أهل الجنة رضوانه، ويبيح لهم النظر إلى وجهه الكريم.

وكان الإمام الشافعي –رحمة الله عليه– يقول: "لو لم يعلم محمد بن إدريس (الشافعي) أنه إذا دخل الجنة رأى ربه، إذًا لم يعبد محمد بن إدريس ربه –عز وجل–".

أما النار، فهي دار الكافرين –عياذًا بالله منها ومن أهلها ومن أعمال أهلها–، فللنار عدة أسماء:

١–منها جهنم؛ قال الله –تعالى–: "أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" آل عمران:١٦٢.

٢–ومنها لظى؛ كما قال –تعالى–: "كَلَّا ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ" المعارج١٥:١٧.

---

[46] صحيح الترمذي
[47] صحيح البخاري
[48] صحيح البخاري
[49] صحيح مسلم
[50] صحيح البخاري
[51] صحيح مسلم

٣–وهي الحطمة؛ "كَلَّاۖ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ" الهمزة٤:٦.

٤–ومنها السعير؛ قال الله عن أهل النار: "وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ" الملك:١٠.

٥–ومنها سقر؛ كما قال –تعالى–: "سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ" المدثر٢٦:٣٠.

٦–ومنها الجحيم؛ "وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ" المائدة:١٠، ولها أسماء كثيرة كذلك.

أما عن وصف النار، فقد دلت الآيات والأحاديث الكثيرة على بعض أوصاف النار؛ منها عظم خلقها، قال –صلى الله عليه وسلم–: "يؤْتَى بجَهَنَّمَ يَومَئذٍ لها سَبْعُونَ ألْفَ زِمامٍ، مع كُلِّ زِمامٍ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَها"[٥٢] اضرب سبعين في سبعين حوالي ٥ مليون ملك دول بس اللي بيجروا جهنم، يأتون بها إلى المكان الذي قدره الله –سبحانه وتعالى–.

أما شدة حرارتها فقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "نَارُكُمْ جُزْءٌ مِن سَبْعِينَ جُزْءًا مِن نَارِ جَهَنَّمَ، قيلَ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً" النار اللي في الدنيا دي ما هي بتحرق "إنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً" يعني نار الدنيا "قالَ :فُضِّلَتْ عليهنَّ بتِسْعَةٍ وسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا"[٥٣]، يعني كل جزء زي ايه؟ زي الحر ده، فدي مضاعفة تسعة وستين ضعف لأشد نار موجودة في الدنيا، رواه البخاري.

الجنة احنا قلنا إنها درجات وأنت طالع كل ما أعمالك وإيمانك يزيد كل ما تطلع فوق.

أما النار دركات بتنزل نفق وظلمات، قال الله –تعالى–: "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا" النساء:١٤٥، وجعل الله في أعناق أهلها الأغلال؛ قال الله –تعالى–: "إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ" غافر:٧١، نكاية وإهانة لأهل النار.

وأما عن وقودها: فوقودها الناس والحجارة، وقيل: حجارة الكبريت كما قال ابن مسعود؛ لأنها شديدة الاشتعال، لا تنطفئ بسهولة، حرها كثيف دخانها، يعني عذاب فوق العذاب، قال الله –تعالى–: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" التحريم:٦.

ولها سبعة أبواب، قال –تعالى–: "لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ" الحجر:٤٤.

وأما طعامهم الشوك، وشرابهم الصديد، قال الله –تعالى–: "لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ * لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ" الغاشية٦:٧، وقال –سبحانه–: "مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ" إبراهيم١٦:١٧.

وكذلك أن جسد الكافر في النار ضخم جدًا ليس كهيئته في الدنيا وكلما ضخمت أجسادهم، زاد عذابهم، قال –صلى عليه وسلم–: "ما بيْنَ مَنْكِبَيِ الكافِرِ مَسِيرَةُ ثَلاثَةِ أيَّامٍ للرَّاكِبِ المُسْرِعِ"[٥٤]، رواه البخاري، وقال –صلى الله عليه وسلم–: "ضِرْسُ الكافِرِ، أوْ نابُ الكافِرِ، مِثْلُ أُحُدٍ وغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلاثٍ"[٥٥] سبحان من سوى وخلق، رواه مسلم في صحيحه.

والآيات والأحاديث في وصف الجنة والنار كثيرة، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة، وأن يعيذنا وإياكم من النار.

أما الأعمال التي تدخل المؤمن الجنة وتقيه من النار فهي كثيرة:

---

[٥٢] صحيح مسلم

[٥٣] صحيح البخاري

[٥٤] صحيح البخاري

[٥٥] صحيح مسلم

-منها **الدعاء**؛ كما قال الله -سبحانه وتعالى-: "وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" البقرة:٢٠١، ومنها قوله -سبحانه وتعالى-: "الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" آل عمران:١٩١، وقال -صلى الله عليه وسلم-: "من سألَ اللَّهَ الجنَّةَ ثلاثَ مرَّاتٍ قالتِ الجنَّةُ: اللَّهمَّ أدخلهُ الجنَّةَ، ومن استجارَ منَ النَّارِ ثلاثَ مرَّاتٍ، قالتِ النَّارُ: اللَّهمَّ أجِرْهُ منَ النَّارِ"[٥٦] رواه الترمذي.

-وكذلك **الأعمال الصالحة**، قال -تعالى-: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا" الكهف:١١٠، وقال -تعالى-: "هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ" الرحمن:٦٠، وقال -تعالى-: "لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" يونس:٢٦، وعن معاذ قال: "كنتُ معَ النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ في سفَرٍ، فأصبَحتُ يومًا قريبًا منهُ ونحنُ نَسيرُ، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ أخبِرني بعمَلٍ يُدخِلُني الجنَّةَ ويباعِدُني من النَّارِ، قالَ: لقد سألتَني عَن عظيمٍ، وإنَّهُ ليسيرٌ على من يسَّرَهُ اللَّهُ علَيهِ، تعبدُ اللَّهَ ولا تشرِكْ بِهِ شيئًا، وتُقيمُ الصَّلاةَ، وتُؤتي الزَّكاةَ، وتصومُ رمضانَ، وتحجُّ البيتَ، ثمَّ قالَ: ألا أدلُّكَ على أبوابِ الخيرِ: الصَّومُ جُنَّةٌ، والصَّدَقةُ تُطفي الخطيئةَ كما يُطفئُ الماءُ النَّارَ، وصلاةُ الرَّجلِ من جوفِ اللَّيلِ ثمَّ تلا: تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ، حتَّى بلغَ يَعْمَلُونَ، ثمَّ قالَ: ألا أخبرُكَ برأسِ الأمرِ كلِّهِ وعمودِهِ، وذِروةِ سَنامِهِ؟ قلتُ: بلى يا رسولَ اللَّهِ، قالَ: رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعمودُهُ الصَّلاةُ، وذروةُ سَنامِهِ الجِهادُ، ثمَّ قالَ: ألا أخبرُكَ بملاكِ ذلكَ كلِّهِ؟ قُلتُ: بلَى يا رسولَ اللَّهِ، قال: فأخذَ بلِسانِهِ قالَ: كُفَّ عليكَ هذا، فقُلتُ: يا نبيَّ اللَّهِ، وإنَّا لمؤاخَذونَ بما نتكَلَّمُ بِهِ؟ فقالَ: ثَكِلَتكَ أمُّكَ يا معاذُ، وَهل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وجوهِهِم أو على مَناخرِهِم إلَّا حَصائدُ ألسنتِهِم"[٥٧] رواه الترمذي.

-ومنها **الاستغفار**، قال الله -تعالى-: "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ" الأنفال:٣٣.

-ومنها: **العلم، وحلق الذكر**، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أهْلَ الذِّكْرِ -أهل الذكر اللي قاعدين يسبحوا ويستغفروا ويتوبون ويحوقلون ويهللون، ليس الذين يتطوحون كهيئة السكارى- فإذا وجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنادَوْا: هَلُمُّوا إلى حاجَتِكُمْ قالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بأَجْنِحَتِهِمْ إلى السَّماءِ الدُّنْيا، قالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ -وهو أعْلَمُ منهمْ- ما يقولُ عِبادِي؟ قالوا: يقولونَ: يُسَبِّحُونَكَ ويُكَبِّرُونَكَ، ويَحْمَدُونَكَ ويُمَجِّدُونَكَ، قالَ: فيَقولُ: هلْ رَأَوْنِي؟ قالَ: فيَقولونَ: لا واللَّهِ ما رَأَوْكَ، قالَ: فيَقولُ: وكيفَ لو رَأَوْنِي؟ قالَ: يقولونَ: لو رَأَوْكَ كانُوا أشَدَّ لكَ عِبادَةً، وأَشَدَّ لكَ تَمْجِيدًا وتَحْمِيدًا، وأَكْثَرَ لكَ تَسْبِيحًا، قالَ: يقولُ: فَما يَسْأَلُونِي؟ قالَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ، قالَ: يقولُ: وهلْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لا واللَّهِ يا رَبِّ ما رَأَوْها، قالَ: يقولُ: فَكيفَ لو أنَّهُمْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لو أنَّهُمْ رَأَوْها كانُوا أشَدَّ عليها حِرْصًا، وأَشَدَّ لها طَلَبًا، وأَعْظَمَ فيها رَغْبَةً، قالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قالَ: يقولونَ: مِنَ النَّارِ قالَ: يقولُ: وهلْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لا واللَّهِ يا رَبِّ ما رَأَوْها، قالَ: يقولُ: فَكيفَ لو رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لو رَأَوْها كانُوا أشَدَّ مِنْها فِرارًا، وأَشَدَّ لها مَخافَةً، قالَ: فيَقولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أنِّي قدْ غَفَرْتُ لهمْ، قالَ: يقولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ: فيهم فُلانٌ ليسَ منهمْ، إنَّما جاءَ لِحاجَةٍ، قالَ: هُمُ الجُلَساءُ لا يَشْقَى بهِمْ جَلِيسُهُمْ"[٥٨] رواه البخاري.

-وكذلك أيضًا **خوف الله والدار الآخرة**؛ قال -تعالى-: "وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ" الرحمن:٤٦، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا يلِجُ -أي: لا يدخل- النارَ رجلٌ بكى من خشيةِ اللهِ"[٥٩] رواه الترمذي.

---

[٥٦] صحيح الترمذي

[٥٧] صحيح الترمذي

[٥٨] صحيح البخاري

[٥٩] سنن الترمذي

–والصدقة، قال –تعالى–: "وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ" الليل١٧:٢١، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "يا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ؛ فإنِّي رَأَيْتُكُنَّ أكْثَرَ أهْلِ النَّارِ"[٦٠] متفق عليه.

–ومن الأعمال التي تُدخل الجنة؛ طاعة الله وطاعة رسوله، قال –تعالى–: "وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا" الفتح:١٧، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "كُلُّ أُمَّتي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إلَّا مَن أَبَى، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، ومَن يَأْبَى؟ قالَ: مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَن عَصَانِي فقَدْ أَبَى"[٦١] رواه البخاري.

–ومنها تقوى الله –سبحانه وتعالى– من الأعمال التي تدخل الجنة، قال –تعالى–: "تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا" مريم:٦٣.

–ومنها الابتعاد عن الكبائر، قال –سبحانه–: "إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا" النساء:٣١، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًا، والخلاصة: أن كل طاعة لله ورسوله هي من الأعمال التي تقربك إلى الجنة، وتبعدك عن النار.

مظاهر رحمة الله في الآخرة

أما مظاهر رحمة الله في الآخرة فهي كثيرة جدًا؛

–منها أن الله يضاعف حسنات المحسنين دون أن يضاعف سيئات المسيئين؛ قال –تعالى–: "إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا" النساء:٣١، فإن العدل في الميزان البشري أن تكون الحسنة بمثلها والسيئة بمثلها، ولكن بمقتضي رحمته –سبحانه وتعالى– يضاعف الحسنات عشر أضعاف، مائة ضعف، سبعمائة ضعف، ما فوق السبعمائة، ولا يجزي بالسيئة إلا سيئة مثلها –سبحانه وتعالى–.

ومن مظاهر رحمته في الآخرة:

– أنه يعطي الأجور العظيمة بغير حساب؛ قال –تعالى–: "إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ" الزمر:١٠.

–ومنها أن ثواب الصيام لا يعلمه أحد إلا الله؛ قال –صلى الله عليه وسلم–: "كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ له إلَّا الصَّوْمَ، فإنَّه لي وأنا أجْزِي به"[٦٢] رواه البخاري.

–ومنها الشفاعة وقد مرت علينا وهي من أعظم نعم الله –جل جلاله– على عباده يوم القيامة.

–ومنها أن الله يرفع درجة الأدنى من الآباء والأهل والأبناء إلى درجة أعلى في الجنة من غير تنقيص لذلك الأعلى؛ قال –سبحانه–: "جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ" الرعد٢٣:٢٤، وقال –سبحانه– في سورة الطور: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم –أي منقصناش– مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ" الطور:٢١.

وثمرات الإيمان باليوم الآخر عظيمة جدًا:

–منها زيادة الإيمان بالله –تعالى–، وزيادة حبه –سبحانه وتعالى–، والتعرف على كمال عدله وفضله –جل جلاله–، وكيف يجازي المحسن بإحسانه، ويجازي المسيء على إساءته ويدخله النار، وأن الإيمان بهذا اليوم يعين على الاجتهاد في كثرة العمل الصالح والثبات عليه والخوف من الله والابتعاد عن المعاصي كما قال تعالى–: "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ

[٦٠] صحيح البخاري
[٦١] صحيح البخاري
[٦٢] صحيح البخاري

فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ" التوبة:١٨، فالمسلم إذا آمن بحقٍ أن الله –تعالى– سيبعث الخلق بعد موتهم ويحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم؛ استقام وانقطع شره، وكم من أشياء كان يود أن يفعلها لكنه يعلم أنها حرام فيحجزه هذا الخوف وأنه موقوف بين يدي اللَّه لا ترجمان يترجم عنه، ولا محامي يدافع عنه، ولا أحد من عشيرته، كل إنسان مشغول بنفسه، حاشى نبينا –صلى الله عليه وسلم– الذي يقول من دون بني آدم جميعًا أمتي أمتي، وكل الخلق بما فيهم الأنبياء والرسل نفسي نفسي، سبحان الله! يعني رحمة النبي –صلى الله عليه وسلم– أيضًا ووفائه لأمته عظيم في الدنيا والأخرى –عليه الصلاة والسلام–، ولذلك بنقول إن ربنا –سبحانه وتعالى– أكثر من ذكر الاقتران بين الإيمان به وبين الإيمان باليوم الآخر.

وهناك مراجع لمن أراد أن يستزيد مما ذكرناه لكوننا مرتبطون بوقت معين لكل حلقة، منها:

الإيمان باليوم الآخر للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد، ومنها اليوم الآخر القيامة الصغرى الدكتور عمر الأشقر، والقيامة الكبرى، والجنة والنار هذه الثلاثة للدكتور عمر سليمان الأشقر –رحمة الله عليه–، وهي مجموعة طيبة جدًا في العقيدة، من أول الإيمان بالله إلى ذكر الجنة والنار، ومنها أشراط الساعة ليوسف الوابل، ومنها القبر عذابه ونعيمه لحسين العويشة، إلى غير ذلك من الكتب.

نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن ينفعني وإياكم بما ذكرنا وما سمعنا من كلام ربنا وأحاديث نبينا –صلى الله عليه وسلم–، ونسأل الله –عز وجل– أن يجعل هذا زادًا للقدوم عليه، وعتادًا ليمن القدوم عليه –سبحانه وتعالى–، وأن يتجاوز عنَّا بمنه ورحمته، وأن يعمر قلوبنا بالإيمان، وأن يحببه إلينا، وأن يزينه في قلوبنا، وأن يكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وأن يجعلنا جميعًا إخواني وأخواتي من الراشدين، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبذا نكون قد انتهينا بحمد الله من المرور السريع على هذا الركن العظيم وهو الركن الخامس من أركان الإيمان؛ الإيمان باليوم الآخر، ويبقى معنا أصلٌ سادس وهو الإيمان بالقدر إن شاء الله إن كان في العمر بقية نستكمله بمشيئة الله، وإلى أن نلتقي أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، ودمتم في أمان الله وحفظه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الإيمان بالقدر

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي خلق فسوى وقدّر فهدى وكان بعباده لطيفًا خبيرا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وخِيرته من خلقه وخليله، أرسله ربه بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرا، وصفه الله –عز وجل– في التوراة ببعض صفته في القرآن فقال: أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظٍ ولا غليظ ولا صخابٍ في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، فيفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا، أما بعد؛

فمرحبًا بكم إخواني وأخواتي وهذا لقاؤنا السادس بحمد الله –عز وجل–، وسنتناول أيضًا الركن السادس من أركان الإيمان بالله –عز وجل– ألا وهو الإيمان بالقدر.

والقدر كما قال ابن عباس –رضي الله تعالى عنهما–: "القدر نظام التوحيد، فمن وحدَّ اللَّه وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحدَّ الله وكذَّب بالقدر نقض تكذيبُه توحيدَه" فلذلك هو كسائر الأركان الأخرى من أركان الإيمان الذي لا يؤمن بها لا يصح له إيمان، يبقى خلاص توحيده وإيمانه ذهب بالكلية، إذا لم يؤمن بالملائكة أو بالكتب أو بالرسل أو باليوم الآخر أو بالقدر خيره وشره ينقض كل هذا إيمان العبد بربه –سبحانه وتعالى–، والإمام ابن القيم يقول: "والإيمان به –أي بالقدر– قُطب رحى التوحيد ونظامه، ومبدأ الدين المبين وتمامه، فهو أحد الأركان، وقاعدة أساس الإحسان التي يرجع إليها، ويدور في تصاريفه عليها".

وسُئِل الإمام الشافعي عن القدر فأجاب قائلًا:

مَا شــئْتَ كَانَ، وإنْ لَم أشَـــأْ ... وَمَا شـــئْتُ إن لَم تَشــأْ لَم يكنْ
خَلقْتَ العِبَادَ لِمَا قَدْ عَلِمْتَ ... فَفِي العِلْمِ يَجري الفَتَى وَالْمسـنْ
فَمِنْهُمْ شــقِي، ومِنْهُمْ سَـعِيد ... ومنهم قَبِيح، وَمِنْهم حَسَـنْ
عَلَى ذَا مَنَنْتَ، وَهَذا خَذَلْتَ ... وذاك أعـنـت، وذا لم تـعـنْ

وسئل الإمام أحمد عن القدر فقال: "القدر قدرة اللَّه" وهذه كلمة استحسنها الناس وتلقوها بالقبول عن الإمام أحمد –رحمه الله–.

فلا شك أن الإيمان بالقدر ركن عظيم وأدلته متوافرة في الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة؛ فمن الكتاب قوله –تعالى–: "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ" القمر:٤٩، وقوله –تعالى–: "وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ" سورة القمر٥٢:٥٣، وكذلك قوله –تعالى–: "وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا" الفرقان:٢، وقد ورد في حديث جبريل الطويل عندما سأل النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: "فأخْبِرْنِي عَنِ الإيمانِ، قالَ: أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ"[٦٣]، وكذلك ما علَّمه النبي –صلى الله عليه وسلم– لابن عباس إذ قال: "يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسألِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأُمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، وإن اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ"[٦٤].

الإيمان بالقدر:

[٦٣] صحيح مسلم
[٦٤] صحيح الترمذي

ويشمل الإيمان بالقدر أمورًا هي:

الأمر الأول: الإيمان بأن الله عالمٌ بكل شيء جملةً وتفصيلًا، وأنه قد أحاط بكل شيء علمًا، وعلمه غير مسبوق بجهل ولا يعرض له نسيان، قال –تعالى–: "إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" الأنفال:٧٥، وقال: "لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا" الطلاق:١٢، وقال –سبحانه–: "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" الملك:١٤، هذا هو الأمر الأول: الإيمان بأن الله عَلِم بكل شيء جملةً وتفصيلا.

والأمر الثاني: أن الله كتب هذا –أي ما كان في علمه –سبحانه وتعالى– في اللوح المحفوظ، قال –تعالى–: "إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ" الحج: ٧٠، وقال –سبحانه وتعالى–: "وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ"، وقال: "مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ" الأنعام:٣٨، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ"[٦٥] ورواه مسلم، وقال –صلى الله عليه وسلم–: "إنَّ أوَّلَ ما خلقَ اللَّهُ القلمَ فقالَ لَهُ اكتُب فجرى بما هوَ كائنٌ إلى الأبدِ"[٦٦] رواه الترمذي.

والأمر الثالث: الإيمان بأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله –تعالى–، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال –تعالى–: "وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ" القصص: ٦٨، قال –تعالى–: "وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ" إبراهيم:٢٧، وقال –سبحانه–: "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" آل عمران:٢٦.

والأمر الرابع: الإيمان بأن الله خالق كل شيء، فهو خالق الخلق وجميع أعمالهم، قال –تعالى–: "اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ" الزمر:٦٢، وقال –تعالى–:"وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ" الصافات:٩٦، وقال –سبحانه–: "وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا"، وقال –تعالى–: "هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ" فاطر:٣، وقال –تعالى–: "ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ" غافر:٦٢.

مراتب التقدير الإلهي

أما مراتب التقدير الإلهي فهي أربعة:

١–التقدير العام اللي يُسمى بالتقدير الأزلي؛ وهو ما يقدره الله لجميع المخلوقات؛ قال –تعالى–: "عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ –أي لا يغيب– عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ" سبأ:٣، وقال –سبحانه–: "مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا –أي من قبل أن نوقعها، ونخلقها– إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ" الحديد:٢٢، والحديث الذي مر علينا "كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ".

٢–وهناك تقدير آخر هو مثل هذا التقدير وموافق له؛ وهو ما يسمى بالتقدير العمري: وهو ما يقدره الله –عز وجل– من رزق الإنسان، وعمله، وسعادته، وشقاوته، وأجله، كما في حديث ابن مسعود أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "إنَّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يَكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فيُؤْمَرُ بأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، ويُقَالُ له: اكْتُبْ عَمَلَهُ، ورِزْقَهُ، وأَجَلَهُ، وشَقِيٌّ أوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فيه الرُّوحُ، فإنَّ الرَّجُلَ منكم لَيَعْمَلُ حتَّى ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَ الجَنَّةِ إلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عليه كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ النَّارِ، ويَعْمَلُ حتَّى ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَ النَّارِ إلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عليه الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ"[٦٧] فهذا هو التقدير العمري للإنسان وهو يوافق ما قدَّره الله قبل خلق الخلق والسماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

---

[٦٥] صحيح مسلم

[٦٦] صحيح الترمذي

[٦٧] صحيح البخاري

٣–وهناك تقدير ثالث موافق لما سبق وهو التقدير السنوي؛ فيه تقدير بينزل وهو ما يقدره الله في ليلة القدر من كل عام؛ قال –تعالى–: "إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ" الدخان:٣-٥.

٤–وهناك تقدير رابع وهو التقدير اليومي؛ وهو ما يقدره الله –عز وجل– ويجريه في كل يوم، "يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ" الرحمن:٢٩، من شأنه –سبحانه– أن يتوب على عاصٍ، وأن يطعم جائع، وأن يشفي مريض، وأن يفرج كربة مكروب، وأن يعلِّم جاهل، وأن يهدِ ضال، وهكذا كل يوم هو في شأن –سبحانه وتعالى–، ولا يَشغله –سبحانه– في ذلك شأن عن شأن، فتبارك الله رب العالمين، فكل هذه التقادير موافقة لبعضها سواء بسواء.

ونحن نود أن نقول بأنه لكي يستقيم الإنسان؛ لأن فيه ناس ضلت في باب القدر، ضلت ضلالًا بعيدًا حتى ربما خرجوا من ملة الإسلام، عياذًا بالله من ذلك، منهم أناس قالوا: إن الأمر أنفٌ وإن مفيش قدر، ربنا مقدَّرش القدر، وقد جاء رجل يسأل ابن عمر عن ذلك والحديث في صحيح مسلم قال: "فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يقولُ هَؤُلاءِ في القَدَرِ، فَوُفِّقَ لنا عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ داخِلًا المَسْجِدَ، فاكْتَنَفْتُهُ أنا وصاحِبِي أحَدُنا عن يَمِينِهِ، والآخَرُ عن شِمالِهِ، فَظَنَنْتُ أنَّ صاحِبِي سَيَكِلُ الكَلامَ إلَيَّ، فَقُلتُ: أبا عبدِ الرَّحْمَنِ إنَّه قدْ ظَهَرَ قِبَلَنا ناسٌ يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ، ويَتَقَفَّرُونَ العِلْمَ، وذَكَرَ مِن شَأْنِهِمْ، وأنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أنْ لا قَدَرَ، وأنَّ الأمْرَ أُنُفٌ، قالَ: فإذا لَقِيتَ أُولَئِكَ فأخْبِرْهُمْ أنِّي بَرِيءٌ منهمْ، وأنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، والذي يَحْلِفُ به عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ لو أنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فأنْفَقَهُ ما قَبِلَ اللَّهُ منه حتَّى يُؤْمِنَ بالقَدَرِ –خيره وشره–."[٦٨]

وهناك ناس قالوا: لا ده الإنسان مُكره على كل شيء ومجبور، ويتمثلون بقول القائل:

ألقاه في اليم مكتوفًا ثم قال: إياك إياك أن تبتل بالماء

وهذا في طياته وصف الرب –سبحانه وتعالى– بالظلم عياذًا بالله من هذا.

امال هو المكره مرفوع عنه الحرج ليه؟ لأنه بغير اختياره وبغير حريته، ما كان من علم الله هذا لا يعلمه العباد إلا ما أعلم الله نفرًا من خلقه من مَلك أو رسول أو كذا، أما الأصل فإن العباد لا يعلمون التقدير إلا بعد أن ينزل بهم، فهؤلاء ضلوا وهؤلاء ضلوا، والحق بينهما سواء.

فعشان نمشي في هذا الركن وهذا الاعتقاد سيرًا طيبا كما سار الصحابة، الصحابة لم يُعرف عنهم اختلاف في مسائل القدر، ربما مرة وحيدة "خرج النبي –صلى الله عليه وسلم– وهم يتنازعون في القدر، هذا يأخذ آية وهذا يأخذ آية، فكأنما فقئ في وجه النبي حب الرمان –احمرَّ من الغضب– وقال: أبهذا أمرتم؟ بهذا هلك من كان قبلكم، عزمت عليكم ألا تعودوا"[٦٩] فلم يعد إليها الصحابة.

حادثة تانية في طاعون عمواس في خلافة عمر، لما عمر كان ذاهب إلى المدينة ووقع إلى الشام أثناء فتح بيت المقدس، وحصل طاعون مات فيه كثير من الصحابة والتابعين، فاستشار عمر الناس يدخل الشام ولا لأ، فاختلفوا حتى جاء عبد الرحمن بن عوف وأخبر عمر بأن النبي –صلى الله عليه وسلم– أمرنا إذا كان الطاعون في بلد ألا ندخله، وإذا وقع الطاعون ونحن في بلد ألا نخرج منه، اللي هو مسألة الحجر الصحي التي تفعلها الدول الآن حفاظًا من انتشار الطواعين والأمراض، وحصل إن أبو عبيدة أمير الجيوش –رضي الله تعالى عنه– أحد العشرة، قال لعمر لما عزم على الرجوع قبل ما عبد الرحمن بن عوف يخبرهم هذا الحديث، قال: يا أمير المؤمنين أفِرَارًا مِن قَدَرِ اللَّهِ؟! فَقَالَ عُمَرُ: لو غَيْرُكَ قالَهَا يا أبَا عُبَيْدَةَ؟! نَعَمْ نَفِرُّ مِن قَدَرِ اللَّهِ إلى قَدَرِ اللَّهِ، أرَأَيْتَ لو كانَ لكَ إبِلٌ هَبَطَتْ وادِيًا له عُدْوَتَانِ –يعني في وادي وفي وادي– إحْدَاهُما خَصِبَةٌ، والأُخْرَى جَدْبَةٌ –مفيش فيها مرعى– أليسَ إنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بقَدَرِ اللَّهِ، وإنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بقَدَرِ اللَّهِ؟"[٧٠].

---

[٦٨] صحيح مسلم

[٦٩] بعض روايات الحديث هنـــا

[٧٠] صحيح البخاري

المهم أن الصحابة –رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم– ما كانوا أبدًا يختلفون في أمور الاعتقاد، هي مدرسة القول الواحد في العقيدة، الصحابة –رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم–، لكن في القدر لم يعرف عنهم خلاف، إنما جاء الخلاف ممن ضل في هذا الأمر بعدهم، ولذلك كان في رواية للإمام أحمد في مسنده عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، قال حدثني أبي –اللي هو الوليد بن عبادة– قال: "دَخَلتُ على عُبادةَ، وهو مَريضٌ أتخايَلُ فيه المَوتَ –يعني شكله كده بيحتضر– فقُلْتُ: يا أبتاه، أَوصِني واجتهِدْ لي، فقال: أجلِسوني، فلمَّا أجلَسوه قال: يا بُنَيَّ، إنَّكَ لنْ تَطعَمَ طَعمَ الإيمانِ، ولنْ تَبلُغَ حَقَّ حَقيقةِ العِلمِ باللهِ حتى تُؤمِنَ بالقَدَرِ خَيرِه وشَرِّه، قال: قُلْتُ: يا أبتاه، وكيف لي أنْ أعلَمَ ما خَيرُ القَدَرِ مِن شَرِّه؟ قال: تَعلَمُ أنَّ ما أخطأَكَ لم يَكُنْ ليُصيبَكَ، وما أصابَكَ لم يَكُنْ ليُخطِئَكَ، يا بُنَيَّ، إنِّي سَمِعتُ رسولَ اللهِ –صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ– يقولُ: إنَّ أوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ القَلَمُ، ثُمَّ قال: اكتُبْ، فجَرى في تلك السَّاعةِ بما هو كائنٌ إلى يومِ القِيامةِ، يا بُنَيَّ، إنْ مِتَّ ولستَ على ذلك دَخَلتَ النَّارَ"[٧١] عياذًا بالله من النار ومن أهلها.

فاحنا عاوزين نذكر بعض الضوابط حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها، ويجي بقى الأسئلة الشيطانية يقولك: الإنسان مسير ولا مخير؟ ده سؤال غلط أصلًا، ده سؤال غلط عامل زي اللي بيقول يعني ايه إما جنة أو نار مينفعش، واخد بالك، للعبد اختيار ومشيئة، وللرب اختيار ومشيئة من فوق مشيئة العبد "وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" التكوير:٢٩، لكن العبد لما بيجي يصلي مش بيصلي باختياره؟ طب هو كان عارف أصلًا قبل ما يصلي إن ربنا مقدر إن هو يصلي؟ أبدًا معرفش إلا لما صلى، هو دلوقتي ماشي في شارع عربية جت ضربته، مكانش عارف إن المصيبة دي هتحصل والنهاية مقدرة عليه إلا لما وقعت فعلًا، فاحنا ليس لنا علم بما أجراه الله لنا من المقادير، ده أمر اسمه: غيب، عالم الغيب، فعَلَامَ ننازع الله –سبحانه وتعالى–؟

ولذلك إبراهيم الحربي –رحمه الله– كان يقول: "أجمع العقلاء من كل الأمم أنه من لم يمشِ مع القدر لم يتهنّ بعيشه" اللي هيقعد ينازع بقى ويخاصم الرب في أقداره، وليه يا رب المصيبة دي حصلت؟ طب فلان ليه اديت له وما ادتليش؟ طب كذا، كل ده حرام، كل ده منافي للتسليم والرضا في هذا الباب.

أصول السير في باب الإيمان بالقدر

فأصول السير في هذا الباب إيه يا إخوانا؟

أول حاجة: إن احنا نعرف أن القدر من صفات الله –سبحانه وتعالى–، ولا يعلم كُنهَ وسر القدر إلا المُقَدِّر –سبحانه وتعالى–، ولن يعلم الناس حقيقة القدر إلا يوم القيامة، فمتشغلش بالك وتقدح ذهنك في شيء ممكن الشيطان يستغويك فيه بحيث أن تخاصم الرب –سبحانه وتعالى–.

أنا شفت واحد للأسف كان من شباب المسلمين وألحد، ألحد! والله رأيته وهو عامل مقطع كده وبيتكلم بيخاصم الرب –سبحانه وتعالى– جهارًا نهارًا، يعني جايب الآية ويقول: "وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" السجدة:١٣، يقوله ليه؟ أنت يا من لا تُذكر في ملكوت الله شيئًا، ده الدنيا تجي باللي حواليا باللي فيها لا تساوي عند الله جناح بعوضة! أنت يا ابن آدم رايح تنازع الرب وتقوله ليه؟! ده خلقه أصلًا! ده صنعته! أنت مالك أنت؟ إيه اللي وداك هناك كده؟ إيه اللي ضلك هذا الضلال! نسأل الله العافية والسلامة.

يبقى أول حاجة عشان نمشي مظبوط في القدر، إن القدر من صفات الرب –سبحانه وتعالى–، ولا يعلم كنهه وسره إلا الله، ولن يعلم الخلق حقيقة القدر إلا يوم القيامة، ده أول حاجة.

---

[٧١] تخريج المسند

الحاجة التانية: أن الأدب مع الرب –سبحانه وتعالى–؛ أنه لا يُسأل عما يفعله في خلقه بل هو الذي يسألهم، قال –تعالى–: "لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ –وهم إيه؟– وَهُمْ يُسْأَلُونَ" الأنبياء:٢٣، فأنت إياك أن تسأل الله –سبحانه وتعالى– لِمَ جعلت فلانًا طويلًا وفلانًا قصير، فلان أبيض وفلان أسود، فلان غني وفلان فقير، فلان صحيح وفلان مريض، فلان عالم وفلان جاهل، فلان يولد له وفلان عقيم، فلان أعطي البنات وغيره أعطي الذكور، دي كلها مقادير، مقادير على حسب علمه وحكمته –سبحانه وتعالى–.

الأمر الثالث: استحالة الظلم وأن يقع منه –سبحانه وتعالى– ولو كان شيئًا يسيرًا يسيرًا، قال الله –تعالى–: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا" النساء:٤٠، يبقى لا يحل للعبد أن يتوهم أن الرب قد ظلم نفرًا من عباده، الكفار والملاحدة وعباد الأوثان وكل من كفر بالله هيدخل النار، يُمكن أن تسمي هذا ظلمًا؟ إذا كان هو خلقه حتى يعبده فذهب يعبد غيره، يدخل الجنة بقى ناس اللي أطاعوا ربنا –سبحانه وتعالى– وآمنوا به؟! "أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ" القلم٣٥:٣٦، ولذلك في الحديث الإلهي القدسي: "يا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا"[٧٢].

الأمر الرابع من أصول السير الصحيحة في باب القضاء والقدر: أن العبد مسئول عن تصرفاته من أقوال وأعمال واعتقادات، طالما أنه مكلف وغير مُكره على أن يقول أو يفعل أو يعتقد.

الأمر الخامس: ربط الأسباب بالمسببات؛ بمعنى أن العمل الصالح سبب لدخول الإيه؟ "ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" النحل:٣٢، الباء دي مش باء التمن، يعني العمل الصالح اللي احنا بنعمله صلاة وصوم وزكاة وبر وكذا ده مش تمن الجنة، لا يقوم لها شيء أصلًا، ده مجرد سبب يؤهلنا لأن يرحمنا ربنا فيدخلنا الجنة، واعلموا أنه لن ينجّي أحدٌ منكم عمله.

الأمر السادس: ضرورة مباشرة الأسباب، فالإيمان بالقدر لا يعارض الأخذ بالأسباب، بل الإعراض عن الأسباب قدح في العقل، اللي عاوز ينجب وهو ميتزوجش قدح في العقل، اللي عاوز الأرض تزرع وهو لم يقم بزرعها وسقيها ومعاهدة هذا الزرع ده قدح في العقل أصلًا، لا يعقله بنو آدم!

والاعتقاد في الأسباب إن طالما أنا ذاكرت لازم أنجح، وجوب أنجح ده قدح في توحيد الإنسان؛ لأن هو ربنا من وراء الأسباب، وهو مسبب الأسباب، النار بتحرق قال الله –عز وجل– لها: "يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا" الأنبياء:٦٩، لو قال بردًا وفقط لتجمد إبراهيم من شدة بردها، لكنه –سبحانه وتعالى– أعلم بخلقه فقال لها: "كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا" يعني لا تؤذيه بهذا البرد، عكس طبيعة النار. يبقى لابد من مباشرة الأسباب، وأن الإيمان بالقدر لا يعارض الأخذ بالأسباب.

الأمر السابع: أنه لا حُجةَ لأحد أن يحتج على الكفر أو الضلال أو المعاصي أو ترك الواجبات بالقدَر السابق؛ لأن دي حجة إبليس وحجة المشركين، "قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي" الأعراف:١٦، والمشركين قالوا: "لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ" النحل:٣٥، "وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم" الزخرف:٢٠، كل دي حجج باطلة، أومال إيه اللي يحصل؟ القدر امتى يُحتج به؟ في المصايب، يعني أنت ماشي وجت عربية شالتك من على الأرض ضلوعك اتكسرت، ايديك رجليك، حصل أي عاهة عندك، مفيش حد يجي يحتج عليك ويقولك أنت ليه مشيت من الشارع ده، أو ليه مخدتش بالك أو ليه ماستنتش لما العربية تعدي، هو خلاص هي مصيبة ووقعت، مصيبة وقعت، فيحتج بالقدر في المصائب، لما حد يلومك مخدتش بالك من الفلوس ليه لما سبت اللص يسرقها، خلاص هي مصيبة وحصلت، هنقول قدر الله وما شاء إيه؟ وما شاء فعل.

إذًا الأصول السبعة دي هي التي ينبغي علينا أن نأخذ بها حتى نسير سيرًا حسنا في هذا الباب.

أصول القدر

[٧٢] صحيح مسلم

فاحنا قولنا إن أصول القدر الأربعة:

أول أصل: الإيمان بعلم الله الشامل المحيط، وعلم ربنا –سبحانه وتعالى– يشمل:

ما كان في الماضي، لما فرعون قال لموسى –عليه السلام–: "قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى" طه٥١:٥٢.

وعلم الحاضر؛ اللي هي اللحظة الآنية التي نعيشها اللي هتبقى ماضي بعد شوية، فهو –سبحانه وتعالى– يعلم الماضي ويعلم الحاضر.

ويعلم المستقبل؛ اللي هو علم الغيب، "إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ" لقمان:٣٤.

ويعلم –سبحانه وتعالى– ما لم يكن لو كان كيف يكون، اللي هو علم المستحيل أصلًا، طب ده مثاله إيه؟ مثاله قول الله –عز وجل– عن أهل النفاق: "لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ" التوبة:٤٧، طب هم المنافقين خرجوا مع الرسول في تبوك؟ ما خرجوش، ومع ذلك ربنا أخبر إن لو ده حصل هيبقى هذا الحدث.

طيب مثال تاني من الكتاب العزيز قوله –عز وجل–: "وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا –للدنيا مرة أخرى– لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ" الأنعام٢٧:٢٨، وإنهم إيه؟ "لَكَاذِبُونَ"، يبقى عِلمه –سبحانه وتعالى– بما لم يكن لو كان كيف يكون، لما ربنا –سبحانه وتعالى– أخبر إن الغلام الذي قتله الخضر –عليه السلام– لو عاش لعاش كافرًا ولأشقى أبويه، ولكن قدَّر –سبحانه وتعالى– إن الخضر يقتله وهو صغير ويُبدلهما –سبحانه تعالى– خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا.

والأصل الثاني: إن ربنا كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ زي ما ذكرنا وما يتبعها من الكتابات الأخرى؛ الكتابة العمرية للإنسان، الكتابة السنوية لمقادير الخلائق، الكتابة اليومية التي تنزل المقادير على أساسها.

وكذلك أيضًا الركن الثالث: أن نؤمن بمشيئة الله –عز وجل– النافذة؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يكون في هذا الكون حركة، ولا سكون، ولا خير، ولا شر، ولا إيمان، ولا كفر، ولا طاعة، ولا معصية إلا بمشيئته –تعالى– "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" يس:٨٢.

والمعروف إن إرادة ربنا –سبحانه وتعالى– بتنقسم إلى قسمين:

١–قسم بمعنى المشيئة، ودي لا رادَّ لها.

٢–وقسم بمعنى المحبة، "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ" البقرة:١٨٥، فدي اسمها المشيئة الشرعية دي ممكن تقع وممكن لا تقع. فربنا أمر بالصلاة ويحب المصلي، ويحب المزكين، هل كل الناس بتصلي؟ هل كل الناس بتزكي؟ بيكره –سبحانه وتعالى– الفسق والفجور والعصيان، هل كل الناس بتبتعد عن هذا؟ لأ فدي اسمها إرادة إيه؟ إرادة شرعية، دي ممكن تقع في حق الطائعين ولا تقع في حق المخالفين، أما المشيئة دي لابد أنها تقع، لابد أنها إيه؟ تقع، منها بقى مشيئة الهدى والضلال، مشيئة الحياة والموت، مشيئة الأرزاق، كل ده في مشيئته –سبحانه وتعالى–.

الركن الرابع: زي ما قلنا الإيمان بأن الله خلق كل شيء، خلق كل شيء؛ الخير والشر، والكفر والإيمان، كل ده خلقه –سبحانه وتعالى–، وفيه بعض الناس يقولك طب ربنا –سبحانه وتعالى– خلق الشر ليه؟ ما كان يخلي الناس كلها طيبين، والناس كلها تدخل الجنة! ده بخلاف حكمته

–سبحانه وتعالى–، بخلاف حكمته –عز وجل–؛ لأن لولا الكفر ما ظهر فضل الإيمان وأهل الإيمان، ولولا وجود الشر ما ظهر فضل الخيرين الطائعين لله –سبحانه وتعالى–، زي ما قلنا إن الإنسان لا يُدخِل عقله فيما لا ينبغي أن يدخل فيه؛ لأن هذا يضر به غاية الضرر، ولازم نعرف أن وجود الشر ده له حِكَم وبيترتب عليه مصالح، فالكفار دول لو مكانوش موجودين كان المسلم هيجاهد مين؟ الشيطان ده لولا أن الله سلَّطه على إغواء بني آدم كان هيظهر فضل المؤمن المجاهد لشيطانه ونفسه وهواه وأعداء الله، كل هذه الأمور معروف إن الحياة كلها ابتلاءات "وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ" الأنبياء:٣٥.

لا شك أن السير الحسن في هذا الباب بيورث الإنسان راحة في القلب، وزيادة في الإيمان، ولا يزداد الإنسان بهذا السير إلا قربًا من الله –سبحانه وتعالى–.

ثمرات الإيمان بقضاء الله –عز وجل– وقدره، وكيف نزكي أنفسنا بهذه العقيدة؟

إذا صح الإيمان للعبد صحت التزكية، والإيمان لا يصح إلا بالإيمان بالقدر، أنه إذا أيقن العبد أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، حينئذ يقطع العبد المؤمن بقضاء الله وقدره أن الأمر كله لله، وأنه لن يضره أحد إلا بإذن الله، ولن ينفعه أحد إلا بإذن الله، واحنا ذكرنا حديث ابن عباس وتوصية النبي –صلى الله عليه وسلم– له المفصلة: "يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظكَ، احفَظِ اللَّهَ تجِدْهُ تجاهَكَ.." إلى آخر الحديث، فيبدأ العبد يتوجه بقلبه ولسانه وجوارحه لمن بيده الأمر –سبحانه وتعالى–.

محتاج مال؟ يطلب من الذي خزائنه ملأى لا تنفذ.

محتاج هداية؟ يطلب من بيده الهداية يهدي من يشاء –سبحانه وتعالى–.

محتاج ينتصر؟ يطلب من القوي أن ينصره.

خايف من الشيطان، خايف من فتنة الدنيا، أي أحد يخافه من دون الله يفزع إلى الله –سبحانه وتعالى– ليحميه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم خلاص؛ لأن ده خلق من خلق الله، وهو وحده الذي يكفي العبد إذا استعاذ به ولجأ إلى حمى المولى –سبحانه تعالى–.

وأكثر ما يقلق ابن آدم حاجتين:

١–الحاجة الأولى: الأجل؛ إن هو دايمًا خايف على عمره، خايف على عمره، عنده هاجس امتى هموت؟ وازاي هموت؟ وتلاقيه إذا مرض شوية يطلع جري على الدكاترة والحق أحسن أموت وهكذا، بياخد بوسائل الأمان ما استطاع، بيركب عربيات معينة، وسائل حماية معينة، طفايات الحريق، كل دي أشياء بتحيط بحياة الإنسان، وفيه ناس طبعًا بتخرج عن الشريعة تروح تعمل مثلًا وثائق تأمين وما إليه، تأمين على الحياة! هو المال اللي أنت بتدفعه ده وهيستمتع به من بعدك أنت هتعذب به؛ لأن ده لا يحل لك، معاملة لا تحل، فالعبد بيخاف على الأجل.

٢–وبيخاف على الرزق أيضًا، بيخاف على الرزق، فإذا أيقن العبد أن الله –عز وجل– وحده هو المحيي المميت، وأنه –عز وجل– هو الرزاق ذو القوة المتين، هيرتاح ويهدى ويعرف إن هو لا هيموت قبل ميعاده ولن يتأخر بعد موعده، "فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ" الأعراف:٣٤، ويعلم "وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ –وما إيه؟– وَمَا تُوعَدُونَ" الذاريات:٢٢، فهيبدأ يرتاح؛ ولذلك قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "إنَّ رُوحَ القُدُسِ نفثَ في رُوعِي –اللي هو جبريل عليه السلام– أنَّ نفسًا لَن تموتَ حتَّى تستكمِلَ أجلَها، وتستوعِبَ رزقَها"[٧٣]

[٧٣] صحيح الجامع

وأيضًا أن الإيمان بالقدر: بيثبت العبد عند المصائب؛ أما يموت له الوالد أو الوالدة أو ابن أو زوجة أو عمة أو خال أو صديق وخِل وفي مصيبة بتحصل للإنسان، أو فقد مال أو أن يُحبس الإنسان ظلمًا، أي مصيبة في البدن أو في المال أو في الأهل، ده لا مفزع له إلا إلى الله –سبحانه وتعالى–: "الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ" البقرة١٥٦:١٥٧، "مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ" التغابن:١١، يعلم أنها من الله هو اللي قدرها، فيرضى ويسلم العبد، فيرضى ويسلّم، ولذلك كان بعض السلف يقول: "لولا مصائب الدنيا لوردنا يوم القيامة مفاليس" ده المصائب دي بتجيب للناس حسنات كثيرة بشرط إن هم يصبروا؛ "إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى"[٧٤] كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–، و "إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ" الزمر:١٠.

وكذلك الإيمان بالقدر: بينفي عن قلب صاحبه آفة الحسد؛ اللي هي آفة إبليس عياذًا بالله؛ لأن الحاسد ده زي ما هو بيؤذي خلق الله بإذن الله هو بيؤذي نفسه؛ لأن بيبقى فيه جمرة مشتعلة ليه فلان أحسن مني؟ ليه فلان معاه مال عني؟ معاه منصب عني؟ أولاده أحسن من أولادي؟ لابس لبس أحسن مني؟ عربيته أحسن من عربيتي؟ بيته أحسن من بيتي؟ هكذا، فبتنفي عنه الحسد لأنه بيرضى ويسلِّم، قال الله –تعالى– عن شر خلقه من اليهود "أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ" النساء:٥٤، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم– للمسلمين: "انْظُرُوا إلى مَن –هو– أسْفَلَ مِنكُمْ، ولا تَنْظُرُوا إلى مَن هو فَوْقَكُمْ، فَهو أجْدَرُ أنْ لا تَزْدَرُوا –يعني تنتقصوا وتحتقروا– نِعْمَةَ اللَّهِ –عليكم–"[٧٥].

كذلك الإيمان بالقدر: يجعل العبد يتواضع لربه –سبحانه وتعالى–، إن أصابه بنعمة علم "وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ" النحل:٥٣، وشوف الرسول –عليه الصلاة والسلام– لما دخل مكة وفتحها بإذن الله كان مطأطئ الرأس حتى يكاد رأسه –عليه الصلاة والسلام– أن يمس الرحل؛ من شدة تواضعه لله –سبحانه وتعالى– على هذه النعمة.

الإيمان بالقدر: بيخوِّف العبد من سوء الخاتمة، فدايمًا يجتهد إن هو يبقى على عمل صالح حتى إذا جاءه الموت فُجاءة كان مستعدًا للقاء الله –سبحانه وتعالى–.

طبعًا فيه ناس بتقول أقوال شنيعة عياذًا بالله في باب القدر؛ منها مثلًا الرجل الشاعر المجرم الذي أراد أن يمدح الخليفة العبيدي الحاكم بأمر الله يقول له:

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ ... فاحكُمْ فأنتَ الواحد القهّارُ

فماذا ترك لله؟ هذا الفاجر

وقول الآخر:

إذا الشّـعْبُ يومًا أرادَ الحياةَ ... فلا بدّ أنْ يَسْـتجيبَ القدرْ

هو الشعب إله؟ ده مجموعة من الناس، خلق من خلق الله! واحد بقى رد عليه فقال مصححًا البيت:

إذا الشَّعْبُ يومًا أرادَ الحياةَ ... فإن شـــاء ربي أجاب القدرْ

وقول الثالث:

---

[٧٤] صحيح البخاري

[٧٥] صحيح مسلم

قـــدر أحمـــق الخـــطـــى ســـحقت هـامتي خطـاه

وأقول من الكلمات السيئة: سخرية القدر، عبث القدر، ظلم القدر، لعبة القدر، كل هذا لا يليق؛ لأن احنا قلنا القدر قدرة الله –سبحانه وتعالى–.

ورضيِّ الله عن الإمام الشافعي حين قال:

دَعِ الأَيّامَ تَفعَلُ ما تَشـــاءُ وَطِب نَفسًا إِذا حَكَمَ القَضاءُ
وَلا تَجزَع لِحـادِثَـةِ اللَيـالي فَمـا لِحَوادِثِ الـدُنيـا بَقـاءُ
وَكُن رَجُلاً عَلى الأَهوالِ جَلدًا وَشـيمَتُكَ السَـماحَةُ والوفاءُ

نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يوفقنا وإياكم إلى ما يحب ويرضى، وقد وصلنا بحمد الله –عز وجل– إلى تمام الركن السادس من أركان الإيمان؛ ألا وهو الإيمان بالقدر، وإن شاء الله –عز وجل– يبقى معنا لقاءين نتحدث فيهما عن القضايا المحيطة بهذه الأصول، أو الأمور التي ضل بسببها أناس بحيث نستوفي هذه الحلقات الثمان التي اتفقنا عليها سلفًا، نسأل الله أن يتم لنا ولكم هذه الرحلة بخير، وأن تكون نافعة لنا جميعًا في الدنيا، وأن نجد أثرها وغِبَّها في قلوبنا وفي جوارحنا، ونجد ثوابها عند من لا يضيع عنده الثواب.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وإلى أن نلتقي نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يوفقنا وإياكم إلى الأعمال الصالحات، وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، ودمتم في أمان الله ورعايته وحفظه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مميزات أهل السنة وأحكام التبديع ج١

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد محمدًا عبده ورسوله، وخيرته من خلقه وخليله، أرسله ربه بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فاللهم صَلِّ وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه واستن بسنته، واتبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد؛

مرحبًا بكم إخواني وأخواتي في الله، وهذا هو لقاؤنا السابع، وقد امتن الله –سبحانه وتعالى– علينا، وله المَن والحمد والفضل والشكر –سبحانه وتعالى– حتى قطعنا هذه الرحلة مع أركان الإيمان الستة، وكان اللقاء الماضي هو متمم هذه اللقاءات الست، وبقي معنا هذا اللقاء والذي يليه بمشيئة الله –عز وجل– نتحدث حول بعض الأمور التي تحيط بمسائل الإيمان أو هي من الإيمان مما ينبغي حتى نتمم المعنى الذي بدأناه مع أصول الإيمان الستة، أن ندندن حول هذه المسائل بمشيئة الله –عز وجل–.

آثار الإيمان بالأركان الستة

فنبدأ إن شاء الله –عز وجل– في لقاء اليوم؛ بآثار الإيمان بالأركان الستة:

احنا خدنا أصول الإيمان؛ الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

فما هي الآثار الإيمانية والفوائد التي يجنيها المسلم والمسلمة أهل الإيمان إذا اعتقدوا هذه الأصول الست، وعملوا بها وتقربوا إلى الله –عز وجل– باعتقادها؟ فإن العبد إذا آمن بهذه الأركان الستة، ورسخ الإيمان الصادق بها في قلبه فإنه سيرى العديد من الآثار العظيمة على شخصيته وسلوكه ومستقبله وحياته.

ومن هذه الآثار:

١–أن الإيمان بهذه الأركان الستة يُكَّوِن للإنسان إطارًا يدور فيه، يمكنه من خلاله فهم العالم من حوله وأن يجيب على الأسئلة الكبرى، الراجل اللي احنا حكينا عنه إيليا أبو ماضي يقول: "جئت لا أدري من أين ولكني أتيت، ولقد أبصرت قدمي طريقًا .. وسأبقى سائرًا" هكذا إلى آخر ما قال لا أدري لا أدري لا أدري، لا يدري؛ لأنه غير مؤمن، وغير مسلم، وغير موحد.

أما المؤمن فالأمور واضحة، خارطة الطريق كما يقولون واضحة أمامه، إيمانٌ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فهذا يُفهمك معنى الحياة، ومعنى الموت، ومعنى البعث، ومعنى المآل والمصير، وهذا ولا شك سيُوجِد عند المؤمن والمؤمنة معنى للحياة، ويبني المعايير التي يميز بها الحق من الباطل والخطأ من الصواب، وما ينبغي فعله وما ينبغي تركه، ويجيب عن أهم الإشكالات التي تفرضها علينا هذه الحضارة المادية والحياة الحديثة بما فيها من معطيات العلم التجريبي.

٢–الأمر الثاني من هذه الآثار: إن احنا بنتأكد من وجود مرجعية كاملة تُحقق لمن آمن بها العدالة المطلقة، وأن كل ما يجري في هذه الحياة على المؤمن فإنه سيؤول إلى خيرٍ في اليوم الآخر؛ اليوم الذي يجمع الله به الأولين والآخرين وينبئهم بما عملوا، فحينئذ يظهر الفرق والتفاوت بين الخلائق، قال –تعالى–: "يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" التغابن: ٩.

المقاصد الأساسية لأركان الإيمان

المقاصد الأساسية لهذه الأركان الستة تتمحور حول ثلاثة أصول أو مقاصد:

الأول: إثبات التوحيد لله -سبحانه وتعالى-.

الأمر الثاني: إثبات النبوات.

والأمر الثالث: إثبات المعاد وأن هناك بعث بعد الموت.

ولذلك هذا الصحابي الذي كان عليه رقبة وجاء للنبي -صلى الله عليه وسلم- يسأله عن هذه الأمَة السوداء هل هي يصح أن يعتقها فتكون كفارة ليمينه؟ فقال لها الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "أتَشهَدِينَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ؟ قالت: نعَمْ، قال: أتَشهَدِينَ أنِّي رسولُ اللهِ؟ قالت: نعَمْ، قال: أتؤمِنِينَ بالبَعْثِ بعد الموتِ؟ قالت: نعَمْ، قال: أعتِقْها"[76] إنها مجزئة فهي مؤمنة.

آثار وبركات الإيمان بهذه الأصول

١-كذلك من هذه الآثار الطيبة: الرغبة في الله -تعالى-؛ فكلما زاد العبد إيمانًا ازدادت ثقته بربه ومولاه، وتوكل عليه ووكل كل أموره صغيرها وكبيرها إليه -سبحانه وتعالى-، حتى أن بعض السلف كان يستخير ربه -عز وجل- إذا أراد أن يشتري ولو شيئًا من الشيء اليسير من متاع البيت توكلًا عليه -سبحانه وتعالى-.

٢-كما أن الإيمان بهذه الأصول: يجعل العبد مبادر، ومسارع، ومنافس لفعل الخير "أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ" المؤمنون:٦١، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جارَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ"[77] رواه البخاري.

٣-كذلك الإيمان بهذه الأصول الستة: بتقوي عند الإنسان الوازع الداخلي، إن هو بس مش بيراقب الناس ويخشى أن يروه على ما لا تُحمد عقباه أو ما يشينه أو ما يتناول الناس بسبب عرضه، لأ، إنه يراقب ربه -سبحانه وتعالى-، ويتجنب المحرمات أمام الناس وفيما بينه وبين الله -سبحانه وتعالى-، وهذا يُورث عنده الخوف والخشية من الله -سبحانه وتعالى- التي هي من جرَّاء الإيمان، ومن جراء العلم به -سبحانه وتعالى-، وأنه عظيم، ولذلك لما خلى أعرابي بأعرابية ثم قال لها معرضًا: "غابت الكواكب" خلاص يعني الدنيا ضلمة وكذا، يعرِّض لها بفعل الحرام قالت: "فأين مكوكبها؟!" أين الله -سبحانه وتعالى- الذي كوكب هذه الكواكب وأنارها حينًا ثم أمرها أن تخبو حينًا آخر؟ فتقوية الوازع اللي هو واعظ الله في قلب كل مسلم، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من خافَ أدلَجَ، ومن أدلَجَ بلغَ المنزلَ -اللي بيخاف بيمشي مبكرًا مبيستناش سواد الليل الشديد- ألا إنَّ سلعةَ اللَّهِ غاليةٌ، ألا إنَّ سلعةَ اللَّهِ الجنَّةُ"[78]

٤-كذلك من آثار الإيمان بهذه الأصول: إيثار الآخرة على الدنيا، بيغالب الإنسان طبيعته؛ لأنه الإنسان محب دائمًا للعاجل والمشهود والمحسوس، فكونه إن هو يغالب هذا الأمر ولا يخلد إلى هذه الدنيا، ويرى أنها ليست بمستقر بل هي دار عبور، يجعله ينافس دائمًا ويسعى إلى فعل الخيرات، ولذلك قال من نصح قارون حال ظهرت فتنته: "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ" القصص:٧٧.

٥-كذلك التأييد الإلهي: فقد وعد الله المؤمنين في الدنيا وعود كثيرة منها النصر على أعدائهم "وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ" الروم:٤٧، والدفاع عنهم: "إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا" الحج:٣٨، والولاية لهم: "اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا" البقرة:٢٥٧، والهداية لهم: "وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" الحج:٥٤، والرزق الطيب "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ -للأسف

[76] تخريج المسند

[77] صحيح البخاري

[78] صحيح الترمذي

بقي– وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" الأعراف:٩٦، وعدهم الله بالعزة: "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ" المنافقون:٨، والجنة في الآخرة "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ * خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" لقمان٨:٩.

٦–كذلك إحياء روح الحزم والعزم، حينما يتمكن الإيمان من قلب الإنسان فيثبت عند الشدائد؛ شدائد الحياة وشدائد الموت وشدائد ما بعد الموت، قال الله –تعالى–: "يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ" إبراهيم:٢٧.

٧–كذلك الإيمان –حق الإيمان– بهذه الأصول الستة: يُخفِي كثير من الظواهر السلبية، وقلة المشكلات بين الأفراد والمجتمعات، فالمجتمعات الآمنة هي التي يتحقق في مجموع أفرادها الإيمان الصحيح "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ" الأنعام:٨٢، في الدنيا والآخرة.

مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يبقى الأصل هو الخير والشر هو الطارئ "وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" آل عمران:١٠٤، ولذلك ستجد توافر الناس أصحاب الإيمان على النصح لكل مسلم وعلى إنكار المنكر، وعلى الأخذ بيد العاصي إلى طريق الهداية، كل ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، قال الله –تعالى–: "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ" فصلت:٣٣.

٨–كذلك سيجد أهل الإيمان حال إيمانهم حقًا بهذه الأصول الستة: الشعور بالسكينة والطمأنينة، فالإيمان بالله –تعالى– القادر على كل شيء يورث الثقة والاطمئنان، ولذلك يجعل حياة الإنسان حياة طيبة، حياة كريمة، حياة خالية من الشقاء، قال الله –تعالى–: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" النحل:٩٧.

٩–كذلك أيضًا زيادة الهداية والتوفيق من الله –سبحانه وتعالى–: "وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا" مريم:٧٦.

١٠–لابد أن نعلم أيضًا، الإيمان ده شعب كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: " الإيمانُ بضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بضْعٌ وسِتُّونَ شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ "[٧٩]رواه مسلم.

١١–أيضًا من الأمور التي ينبغي معرفتها في هذا الأمر: أن الإيمان الكامل يمنع صاحبه من دخول النار، والإيمان ولو كان قليلًا يمنع صاحبه من الخلود، لكن الإيمان الكامل، الإيمان العالي، الإيمان اللي فيه الإحسان هذا يمنع صاحبه من دخول النار، بل إن نفرًا من الناس من أهل الإيمان يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب، أصلًا لا تُنصب لهم موازين يعني من أرض المحشر إلى الجنة رأسًا، لا تُنصب لهم موازين ولا توكل أعمالهم، هم أعطاهم الله –عز وجل– هذه الخاصية.

١٢–كذلك أيضًا من بركات الإيمان: أن صاحبها يُهدَى إلى الصراط المستقيم في الدنيا ويهديه الله –عز وجل– إلى الصراط المستقيم في الآخرة، حتى بيَّن النبي –صلى الله عليه وسلم–: "لَأَحَدُهُمْ أهْدَى بمَنْزِلِهِ في الجَنَّةِ منه بمَنْزِلِهِ كانَ في الدُّنْيا"[٨٠]، كما مر علينا الحديث الماضي.

١٣–كذلك الإيمان الحق: يسلي صاحبه عند المصائب، ويكون نعم الرفيق ونعم العون له على تجاوز هذه المحن وهذه الشدائد؛ لأن الله –سبحانه وتعالى– ضاعف الأجور لأهل المصائب قال الله –تعالى–: "مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" التغابن:١١، ولذلك كان بعض السلف يقول: "لولا مصائب الدنيا لوردنا يوم القيامة مفاليس" واحنا أكتر الأجور اللي بناخدها بسبب المصائب التي تنزل في أبداننا، وفي أموالنا، وفي أهلنا، وفي أحبابنا، كلها مصائب، ولذلك ربنا –سبحانه وتعالى– حمَّسَ أهل الإيمان فقال لهم: "إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ –الفرق إيه بقي؟– وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ" النساء:١٠٤، أنتم أهل إيمان فترجون من الله الثواب، وأما هم فلا يؤمنون بالله ولا يرجون منه ثوابًا –سبحانه وتعالى–.

---

[٧٩] صحيح مسلم

[٨٠] صحيح البخاري

١٤–كذلك أيضًا المحبة التي يضعها الله –عز وجل– في قلوب أهل الصلاح لأهل الإيمان، قال الله –تعالى–: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا" مريم:٩٦، أي: محبةً في قلوب عباده، قد يستشكل المستشكل ويقول: ده الجماعة الفنانين والجماعة الرياضيين والجماعة المشهورين دول متابعينهم ومحبيهم هذه محبة فاسدة أيها الحبيب، احنا بنتكلم عن المحبة الإيمانية اللي المُحِب ينال ثواب، والمُحَب ينال ثوابًا وكلاهما عند الله –عز وجل– بمكانٍ عال وينادى عليهم نداء خاص بأهل المحبة في الله "أَيْنَ الْمُتَحابُّونَ بجَلالِي، اليومَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلِّي"[٨١] سبحانه وتعالى.

١٥–كذلك الإيمان بهذه الأصول الستة بيجعل العبد عنده يقين راسخ، وإيمان قوي لا يتزعزع ولا تصيبه العواصف باهتزاز ولا بشك، ولذلك قال الله –تعالى–: "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ" السجدة:٢٤، فبالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين.

١٦–كذلك أيضًا من بركات الإيمان رفع أهله، قال الله –تعالى–: "يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ" المجادلة:١١؛ لأن الذين أوتوا العلم أوتوا الإيمان ثم أوتوا مزيدًا من الخير وهو العلم بنور الوحي.

١٧–كذلك التبشير كله في الدنيا والأُخرى هو لأهل الإيمان، قال الله –تعالى–: "وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ" الأحزاب:٤٧، فأطلقها، ثم قيَّدها –سبحانه وتعالى– في قوله –تعالى–: "وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ" البقرة:٢٥.

١٨–كذلك أيضًا من بركات الإيمان: أن أهله هم الذين ينتفعون بالمواعظ وبالتذكير قال الله –تعالى–: "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ" العنكبوت:٤٤، وقال –سبحانه–: "وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ" الذاريات:٥٥.

١٩–كذلك من بركات الإيمان، وهذا أمر نحتاجه في حياتنا المعاصرة النكدة هذه التي كثر فيها التشكيك والإلحاد في مسائل الإيمان: أن الإيمان قاطع لهذه الشكوك بحمد الله –عز وجل–، طالما إيمانك صحيح أنت بمنأى ولله الحمد عن هذه الشكوك قال الله –تعالى–: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا" الحجرات:١٥، الريب: هو الشك، ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "لا يَزالُ النَّاسُ يَتَساءَلُونَ حتَّى يُقالَ :هذا خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فمَن خلَقَ اللَّهَ؟ فمَن وجَدَ مِن ذلكَ شيئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ باللَّهِ"[٨٢] ولينتهِ وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– هذا الداء المهلك؛ داء التشكيك والريب في الله –سبحانه وتعالى– والإيمان به، وذكر التداوي: فأمر بالانتهاء عن هذه الوساوس الشيطانية والاستعاذة من شر الشيطان؛ لأنه هو الذي يحركها في قلب الناس ليضل بها العباد حتى يصيروا مثله، وكذلك أمر بالاعتصام بالإيمان الصحيح.

فلا شك أن الإيمان هو ملجأ المؤمن عند الشدائد، وهو الذي به خير الدنيا والآخرة كما ذكرنا.

احنا بنعتقد كمعشر المسلمين بأن الإيمان يزيد وينقص؛ بيزيد بالطاعة حتى يصير أمثال الجبال في قلب العبد، ويضعف يضعف حتى يصير مثل الضوء الخافت الذي لا يكاد يُرى، نقطة فقط مضيئة بيبقى عند أصله هو فقط، فربنا –سبحانه وتعالى– قسَّم أهل الإيمان فقال –جل في علاه–: "ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ" فاطر:٣٢؛ فلا شك أن أهل الإيمان متفاوتون، مراتب الأنبياء والمرسلين، الصديقين، الشهداء، الصالحين، الناس متفاوتون في الإيمان ولذلك نحن مأمورون وجوبًا إن احنا نسعى إلى زيادة إيماننا؛ لأن كل ما بتزود كل ما الأصل بيرسخ أكثر ويملأ القلب، فلا يجد القلب فراغًا يدخل عليه شيطان أنسيّ أو جنيّ يشكك صاحبه في إيمانه، بل هو مستغنٍ بالله –سبحانه وتعالى– وبالإيمان به.

الوسائل المعينة على زيادة الإيمان

[٨١] صحيح مسلم
[٨٢] صحيح مسلم

من الوسائل المعينة على زيادة الإيمان:

١–طلب العلم النافع وسنذكرها من غير ذكر أدلة عشان الوقت لا يدهمنا قبل أن ننتهي.

٢–كذلك أداء العبادة لله –سبحانه وتعالى– ده مقصود عظيم جدًا، "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" الذاريات:٥٦، نوحد الله ونعبده بما أمر –سبحانه وتعالى–.

٣–كذلك الذكر وقراءة القرآن بتدبر؛ هذا لا شك من الوسائل العظيمة لزيادة الإيمان "وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ" التوبة:١٢٤.

٤–كذلك الصحبة الصالحة، "مَثَلُ الجَليسِ الصَّالِحِ والجَليسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صاحِبِ المِسْكِ وكِيرِ الحَدَّادِ".[٨٣]

٥–الأمر الخامس: التذكير والموعظة الحسنة، "وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ" الذاريات:٥٥، قال الله –تعالى–: "ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" البقرة:٢٣٢.

٦–كذلك من أمور زيادة الإيمان: المحاسبة للنفس والاجتهاد في تحقيق التقوى، قال الله –تعالى–: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" الحشر:١٨.

٧–كذلك الاستعانة بالله –سبحانه وتعالى–، والدعاء باب عظيم جدًا من أبواب زيادة الإيمان، "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" الفاتحة:٦، وقبلها "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" الفاتحة:٥، وقال الله –سبحانه وتعالى–: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ" البقرة:١٨٦.

٨–وكذلك أيضًا التفكر والتأمل، اقرأ أواخر سورة آل عمران وانظر إلى ما ذكره الله –سبحانه وتعالى– فيها وفي مثيلاتها من الآيات التي يأمرنا فيها بالنظر في ملكوت السماوات والأرض، والشمس والقمر، وآياته –سبحانه وتعالى– "صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ" النمل:٨٨.

٩–كذلك أيضًا من أمور زيادة الإيمان: تذكر الموت والدار الآخرة، كل ما بتذكر أهوال يوم القيامة، كل ما بتذكر نعيم الجنة، كل ما بتذكر عذاب النار هذا يورث خوفًا، ويورث زيادة في الإيمان، ويورث تخليًا عن الدنيا وعدم الخلود إليها والاستمتاع بما فيها حتى يخرج الإنسان عن حد التوسط والاعتدال، فكلما تذكر الإنسان أنه ملاقٍ ربه –سبحانه وتعالى– كلما عمل لهذا أو ينبغي أن يعمل لهذا، ولذلك كان يقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أَكثِروا ذِكرَ هادمِ اللَّذَّات"[٨٤]، يعني الموت.

١٠–كذلك قراءة سير الصالحين، لاسيّما الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من الحواريين، كما قال الله –سبحانه وتعالى–: "وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ" هود:١٢٠.

١١–كذلك من أسباب زيادة الإيمان مداومة الاستغفار، والتوبة لله –سبحانه وتعالى–.

١٢–كذلك أيضًا عدم الاستماع لحديث المشككين أو الجلوس معهم، أهل الريب لا تُصغي إليهم، ولذلك قال الله –تعالى–: "وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" الأنعام:٦٨.

فكلما هلك واحد من هؤلاء، تجد بعض المسلمين الذين يظهرون نوعًا من الفرح، والفرح واجب في مثل هذه المواقف؛ واحد كان بيطعن في القرآن، وبيطعن في السنة، وبيستهزأ بالرب –سبحانه وتعالى–، وبيستهزأ بالأنبياء وبالديانات ده منفرحش في موته؟! أومال نفرح في إيه؟ متى نفرح أصلًا يعني؟ فربنا –سبحانه وتعالى– أمرنا أن نحمده –سبحانه وتعالى– إذا هلك هؤلاء الظلمة "فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" الأنعام:٤٥.

---

[٨٣] صحيح البخاري

[٨٤] صحيح الترمذي

فتجد كثير من الناس يذكرون مقالاتهم السيئة وينشرون عشان يبينوا جرم ما كانوا يفعلون، لكن للأسف ده قد يُدخل بعض الشكوك على ضِعاف القلوب أو ضِعاف الإيمان أو الذين ليس عندهم حصيلة من العلوم تجاه هذه الشبهات، فما ينبغي لنا أن نلتفت إلى هذه الأمور، بل نسعى دائمًا إلى الأمور التي تزيد في إيماننا لا التي تنزل من هذا الرصيد أو توقفه عند حد معين.

١٣–كذلك أيضًا مداومة إرادة الخير، والنيات الحسنة حتى للأعمال التي يعجز عنها الإنسان، ويمكن أن نحوّل الأشياء المباحة، يعني شرب الشاي مثلًا مباح أهو بسم الله لو نويت أنا وأنا أشرب هذا المشروب أن أتقوى على عبادة الله –سبحانه وتعالى–، أو غيرها من المعاني أو أنني أشرب لأحمد الله –سبحانه وتعالى– وأسمي في بداية شُربه، وأشكر الله وأحمده، فدي كلها طاعات بتجعل المباح ده يصير عبادة وقربة لله –سبحانه وتعالى–.

الأمر الذي نود أن نختم به لقاء اليوم: أن الإيمان كما أن له زيادة له نقصان، ورأينا الثمرات الطيبة العظيمة التي يحصلها من آمن بهذه الأصول الست واستقام عليها اعتقادًا، وعملًا، وحالًا.

نواقض الإيمان

لابد إن احنا نعرف أنه يمكن أن ينتقض إيمان العبد حتى يزول بالكلية ويزول أصله، ويخرج من ملة الإسلام ويصير مرتدًا –عياذًا بالله من هذا–.

فكما نسعى لزيادة الإيمان وترسيخ الإيمان وتعاهد الإيمان، ينبغي علينا أن نحذر غاية الحذر، وأن نخاف غاية الخوف أن نُسلب الإيمان أو أن نأتي بناقض ينقض علينا هذا الإيمان –عياذًا بالله من هذا–.

١–وأعظم ما ينقض الإيمان هو: الكفر الأكبر، والشرك الأكبر؛ قال الله –تعالى–: "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" لقمان:١٣، وقال الله –سبحانه وتعالى–: "وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ" الأنعام:٨٨، وسُئل النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أيُّ الذَّنْبِ أعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قالَ: أنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا، وهو خَلَقَكَ"[٨٥].

٢–وكذلك من النواقض التي تُخرِج من الإسلام أيضًا: الكفر الأكبر؛ وهو عدم الإيمان بالله ورسله وشريعته، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، يعني مجرد عدم الإيمان بهذه الأركان أو بأحدها ولو لم يشتمل على التكذيب، صاحبه يكون كافرًا –عياذًا بالله من ذلك–، قال الله –تعالى–: "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ" العنكبوت:٦٨، وقال الله –سبحانه وتعالى–: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ" الأحقاف:٣.

٣–من النواقض التي تُخرِج من الإسـلام أيضـًا: النفاق الأكبر؛ وهو إظهار الإسـلام وإبطان الكفر ويسـمى النفاق الاعتقادي، قال الله –تعالى–: "وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ" المائدة:٦١، وقال –سـبحانه وتعالى– عن عقوبتهم في الآخرة: "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا" النساء:١٤٥، ولذلك لا يستبعدنَّ مؤمن ولا مؤمنة ولا مسـلم ولا مسـلمة دخول النفاق من حيث لا يشـعر، فيظل ينمو وهو في غفلة عنه حتى يسـتولى على قلبه فيعدّ –عياذًا بالله– من أهل النفاق.

فنواقض الإيمان كثيرة، منها نواقض خاصة بالاعتقاد، ومنها نواقض خاصة بالأقوال، ومنها نواقض خاصة بالأعمال.

[٨٥] صحيح البخاري

فمن نواقض الإيمان الاعتقادية: كما ذكرنا الشرك والكفر الأكبر، وهذا الذنب إن مات عليه صاحبه لا يغفر الله –عز وجل– له مطلقًا، قال –تعالى–: "إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا" النساء:١١٦.

وكذلك الجحود والتكذيب، وطبعًا الجحود والتكذيب لهما أسباب: منها التكبر، ومنها الحسد، ومنها الكراهية والبغضاء.

من نواقض الإيمان الاعتقادية: النفاق الأكبر كما ذكرنا "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا" النساء:١٤٥.

كذلك الشك في حكم من أحكام الله أو في خبر من أخباره التي عُلم ثبوتها قطعيًا، كمن يشك في خبر القرآن ويذكر أن ما ذكره القرآن عن الأمم السابقة ده أساطير الأولين، خلاص، قال الله –تعالى–: "إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ" التوبة:٤٥، وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : "أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنِّي رسولُ اللهِ، لا يَلْقى اللهَ بهما عبْدٌ غيرُ شاكٍّ فيُحْجَبَ عَنِ الجنَّةِ"[86] رواه مسلم.

كذلك من نواقض الإيمان من لم يُكَفِّر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم؛ لأن هذا تكذيب لقدر الله عنهم بأنهم من الكافرين، فاللي يجي يقول مثلا عُباد الأصنام دول زي المؤمنين وهيدخلوا الجنة ومثل هذا كلام هذا هو نفسه إيمانه ينتقض؛ لأن الله –سبحانه وتعالى– قال: "وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" آل عمران:٨٥.

كذلك استحلال أمر معلوم من الدين بالضرورة تحريمه، فالذي يأتي ويقول الزنا حلال، اللواط حلال، شرب الخمر حلال، دعاء غير الله حلال، أكل الخنزير حلال، الأشياء المعروفة؛ معلومة من الدين بالضرورة، يعلمها العامي والعالم على السواء، فهذا اللي يقول إنها حلال هذا يكفر –عياذًا بالله من هذا–.

كذلك الذي يعرض عن دين الله مطلقًا فلا يتعلم أصل الدين ولا يعمل به.

كذلك الاستكبار عن طاعة الله؛ لأن فيه شبه بإبليس، وقال الله –سبحانه وتعالى–: "إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ" غافر:٦٠.

وهناك صور أخرى كثيرة طبعًا الوقت لا يسمح بها.

كذلك الأمر الثاني: نواقض الإيمان القولية وصورها كثيرة:

١–منها أن يسب الله –تعالى–، عياذًا بالله من هذا، فسب العبد لربه ومولاه هذا يخرج به عن ملة الإسلام، أو يسب نبيه –صلى الله عليه وسلم–، أو يسب القرآن، أو يسب الدين، سب الدين وسب الله وسب القرآن وسب الرسول هذه كلها مكفرات، يعني تُخرِج العبد من الإيمان إلى الكفر –عياذًا بالله من هذا–.

٢–كذلك أن يستهزئ بالله أو رسوله أو دينه، قال الله –تعالى–: "وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ" التوبة:٦٥:٦٦، الآيات.

٣–كذلك أن ينكر بلسانه معلومًا من الدين بالضرورة مثل إنكار الملائكة أو الجن أو البعث.

٤–كذلك من نواقض الإيمان القولية: أن يدعي النبوة، يقول أنا نبي، الراجل اللي في لبنان ده آخر حاجة، حاجة غريبة جدًا يعني؛ لأن النبي– صلى الله عليه وسلم– قال: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذّابُونَ قَرِيبٌ مِن ثَلاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أنَّه رَسولُ اللَّهِ"[87] رواه البخاري، أن يدعي علم الغيب.

[86] صحيح مسلم
[87] صحيح البخاري

من نواقض الإيمان العملية:

١-الشرك في عبادة الله، أن يصرف العبادة لغير الله، كأن يذبح لغير الله أو ينذر لغير الله.

٢-السحر الذي يكون فيه ما يسمى بالسحر السفلي، واعتقاد شيء في الكواكب وغير ذلك.

٣-رمي المصحف وتلويثه بالنجاسات مثلًا أو دَوْسِه بالأقدام، هذا كلها نواقض إيمان عملية.

والخلاصة: أنه لا يتم التصديق بأركان الإيمان إلا باجتماع مراتب الإيمان الأربعة: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح فمن أخل بشيء منهم اختل إيمانه بقدر ذلك.

والأصل فمن ينتسب للإسلام بقاء إسلامه حتى يُتحقَق من كفره بمقتضى الدليل الشرعي، وأهل الإسلام يفرقون بين تكفير الفعل وتكفير الفاعل، ففي الأول يطلق القول بمن دعا غير الله فهو كافر كذا، لكن فلان ده الذي دعا غير الله هل هو كافر بعينه؟ فلان ده سعد أو علي أو إبراهيم أو كذا هذا يحتاج إلى تحقق شروط وانتفاء موانع حتى يُحكم بكفره.

نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن ينفعنا وإياكم بما قلنا وبما سمعنا، وإلى هنا يكون قد انتهى لقاؤنا اليوم، على وعد بإذن الله -تعالى- أن نستكمل المسيرة بحلقةٍ متممة للقاءات الثمان نستعرض فيها شيء من الأمور التي يحتاجها أيضًا طلاب العلم وعموم المسلمين حول مسائل في الإيمان.

نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوفقنا وإياكم إلى العلم النافع والإيمان الصحيح، وأن يجنبنا سبحانه وإياكم الخطأ والزلل والكفر والفسوق والعصيان، وأن يجعلنا -سبحانه وتعالى- من الراشدين، وإلى أن نلتقي أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مميزات أهل السنة وأحكام التبديع ج٢

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخيرته من خلقه وخليله، فاللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا مزيدًا.

أما بعد؛

فمرحبًا بكم إخواني وأخواتي في الله، وهذا كما يقولون حسن الختام، فنسأل الله لنا ولكم الحسنى وزيادة، ونسأله –سبحانه وتعالى– أن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاه –سبحانه وتعالى–، فيثيبنا على الحسنات إحسانًا ويتجاوز عنا بمنه وكرمه –سبحانه وتعالى–.

فهذا هو لقاؤنا الثامن وهو تمام هذه اللقاءات التي شرفت وسعدت بصحبة حضراتكم، ونحن نتعرف على أصول إيماننا، وعلى ما يحيط بهذه الأصول من أمورٍ لكي ينضبط سيرنا ويصح إيماننا، وبالتالي نسلك طريقًا بعيدًا عن الزلل والخطأ بإذنه –سبحانه وتعالى–، "وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" الحج:٥٤.

فنبدأ اليوم؛ ما هي المرجعية التي نرجع إليها لنستقي منها معارفنا وعلومنا وإيماننا وأحكامنا وكل هذه الأمور؟

فالمسلمون يؤمنون بأنه يجب علينا جميعًا أن نتبع ما جاء في كتاب الله الكريم في المصحف الشريف، كلام الله رب العالمين الذي أنزله هدايةً ونورًا وروحًا، ولا يسع المسلم أن يخرج عما جاء في كتاب الله –سبحانه وتعالى– لقوله –عز وجل–: "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ" الأحزاب:٣٦، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "تركتُ فيكم أَمْرَيْنِ لن تَضِلُّوا ما تَمَسَّكْتُمْ بهما: كتابَ اللهِ وسُنَّةَ رسوله"[٨٨] –صلى الله عليه وسلم–.

فالكتاب كلام الله والسنة هي الوحي الذي أوحاه الله –عز وجل– إلى نبينا –صلى الله عليه وسلم–، وهذه السنة شارحة لكلام الله –عز وجل–، ومبينة لما أُجمل في الكتاب العزيز قال الله –تعالى–: "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" النحل:٤٤، وقال الله –عز وجل–: "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ" الأعراف١٥٦:١٥٧

وقال النبي –صلى الله عليه وسلم– مبينًا هذا الأمر: "فعليكم بسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإيَّاكم ومُحدَثاتِ الأُمورِ"[٨٩].

إذًا المرجعية عندنا ومصادر التلقي هي كتاب الله –سبحانه وتعالى– وسنة النبي –صلى الله عليه وسلم– وكذلك ما أجمع عليه المسلمون من لدن الصحابة إلى يومنا هذا، فالإجماع أصلًا لا يخرج على مقتضى الكتاب والسنة، وإنما أجمع المسلمون على ما جاء في كتاب الله وعلى ما جاء في سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وهناك خطر عظيم لمن خالف هذه الأصول الثلاثة فالذي يزيغ عن الكتاب فهو زائغ، والذي لا يهتدي إلى سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– فهو ضال، والذي يخالف إجماع المسلمين جهارًا نهارًا ولا يعتبره، فقد قال الله –تعالى– فيه: "وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا" النساء:١١٥.

---

[٨٨] حسنه الألباني

[٨٩] صححه الألباني

فإذًا نحن لا نعدِل عن النص الصحيح، ولا نتقدم بين يدي الله ورسوله ولا نعارض شيئًا من كتاب الله بأفهامنا، أو أعرافنا، أو أذواقنا أو بما يزعمون تقدم الحضارة والدنيا بقت غير الدنيا وهذا الكلام الباطل الذي ينبئ عن زندقة وعن نفاق وعن خللٍ شديد في مسائل الإيمان، لا نعارض الكتاب والسنة بمعقول ولا بقياسٍ ولا ذوق ولا كشف ولا قول أحد من الناس ولا حتى بمسألة الأكثرية التي هي من صيغ العلمانية وغيرها، الأعم الأغلب، طب ما الأعم الأغلب في قوم لوط –عليه السلام– أنهم كانوا يأتون الذكران من العالمين!! وقال الله –سبحانه وتعالى–: "وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ" يوسف:١٠٣.

فالمسألة مش مطلقة لمسألة الأكثرية، إنما الأكثرية لو كانوا إلى أمر رشد. لأن الدين قد اكتمل في حياة النبي –صلى الله عليه وسلم– قال الله –عز وجل–: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" المائدة:٣، وأدبنا الله في سورة الآداب سورة الحجرات فقال –سبحانه–: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" الحجرات:١، وحذرنا الله –سبحانه وتعالى– من اتباع الهوى لأنه من أفتك الأمور التي تضر بإيمان العبد فقال –سبحانه–: "أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ" الجاثية:٢٣، ممكن تقول لشاب مثلاً لماذا لا تأتي تصلي؟ يقولك أما يجي لي مزاجي هو ده الهوى، أو قد يستهزئ بالقائل فيقول طب ابقى خدنا على جناحك أو غيرها من هذه الأمور التي يقولها الشباب، نسأل الله لنا ولهم الهداية، "أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ"، ونحن نقطع بأن العقل الصريح لابد أن يوافق النقل الصحيح، وإذا حصل إشكال فإنما نقدم النقل، لأن فيه ناس من المعتزلة وغيرهم قالوا لا دلالة العقل الصحيح دي لا ترد أبدًا، فاحنا حتى لو ظهر فيه آيات أو أحاديث مهما كانت كثرتها توافق نؤولها أو نجنبها أصلًا في الاستدلال في هذه المسائل، وهذا خلل شديد ابتعدوا به عن الصراط المستقيم وضلوا ضلالًا بعيدًا لأن أفهامهم نفسها مختلفة، يعني ما يكاد يُجمِع من يتحرر من نصوص الوحي مع كثير أمثاله، تجد شذاذ من الناس يتفقون في مسائل ثم يختلفون ثم ينقضون هذا الاختلاف إلى آخر هذه الأمور.

يبقى عندنا العصمة في الكتاب والسنة وما أجمعت عليه الأُمة. وما استجد في حياة الناس مما لم يكن فيه حكم في الشرع سابق فهذا مدخله القياس. والقياس هو قياس فرع على أصل معلوم نعطيه حكمه، كما فعل العلماء في مسألة المخدرات، فالذي جاء بالتحريم في الكتاب والسنة وهو من الكبائر أم الخبائث: الخمر، والعلماء حينما تكلموا عن الخمر قالوا إن العلة في التحريم هي أنها مسكرة وأم الخبائث تذهب بعقل الإنسان فيصير كالبهيمة، فلما وجدوا المخدرات على اختلاف أسمائها وأنواعها تزيل العقل وتفعل ربما ببدن الإنسان المتعاطي أفظع وأكثر بكثير مما تفعله الخمر من الضرر انقطعوا بأنها محرمة وأن حرمتها كالخمر أو أشد.

وهذا يدلك على أن الإسلام هو الدين الكامل حقيقةً وأنه ليس هناك شريعة توازي شريعة الإسلام في أنها عادلة وأنها كافية للناس.

كذلك أيضًا لا بد أن نطلب العلوم حتى يصطفي منا –سبحانه وتعالى– أهل علم يحملون العلم ويبلغونه إلى الأجيال القادمة حتى لا يندرس العلم ويغيب، ولذلك قال الله –تعالى–: "فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" النحل:٤٣

وكذلك لابد من الارتباط بين العلم والعمل، وأن مخالفة الأفعال للأقوال هذا فيه مضرة، قال الله –سبحانه–: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ" الصف٢:٣

وقال –سبحانه–: "أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" البقرة:٤٤

من الأمور التي هي محيطة بمسألة الإيمان وهي من العقيدة بل من أصول العقيدة؛ الحب في الله والبغض في الله. الحب اللي هو الولاء والنصرة للمؤمنين خاصة والمسلمين عامة، والبغض والكراهية للمشركين والكفار ومن شايعهم ووالاهم والبراءة منهم ومن قوانينهم وتشريعاتهم، قال

الله –تعالى–: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" التوبة:٧١.

وقال الله –سبحانه وتعالى–: "لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ" آل عمران:٢٨،

وقال الله –سبحانه وتعالى–: "لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ" المجادلة:٢٢

نصوص صريحة في حرمة هذا الأمر لأنه بيأثر على عقيدة الإنسان وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أوثقُ عُرَى الإيمانِ: الموالاةُ في اللهِ، والمُعاداةُ في اللهِ، والحبُّ في اللهِ، والبُغضُ في اللهِ عزَّ وجلَّ"[٩٠]

واحنا شايفين دلوقتي هذه الدعاوى الباطلة: الدين الإبراهيمي ودين الإنسانية ودين الأخوة الإنسانية وهذه كلها شعارات إنما يضحكون بها على السذج من الناس، هم بكفرهم عندهم عقيدة كفرية أو إذا كانوا ينتسبون إلى ملة اليهودية أو النصرانية أو غيرها من الهندوسية والبوذية وغيرها متعصبون محترقون في التعصب لمللهم، وما هذا الذي نراه في ديار المسلمين من استباحة أعراضهم وديارهم وتسلطهم عليهم لإخراجهم من دين الإسلام منا ببعيد، كل يوم نسمع عن أشياء يشيب لها الولدان، ويتحير الإنسان ما يقولونه من الكلام المعسول على شاشات التلفاز ثم ما هو الواقع في الأرض. فلا شك أن هذه العقيدة؛ أن تحب الله ورسوله وتحب الإيمان على مراتبهم هذا لا شك أنه من الإيمان ومن أصول الإيمان.

ولذلك هذه العقيدة سبب عظيم لتذوق القلب حلاوة الإيمان ولذة اليقين، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: مَن كانَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، ومَن أحَبَّ عَبْدًا لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ عزَّ وجلَّ، ومَن يَكْرَهُ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ، بَعْدَ إذْ أنْقَذَهُ اللَّهُ، منه كما يَكْرَهُ أنْ يُلْقَى في النَّارِ" متفق عليه.

بتحقيق هذه العقيدة الحب في الله والبغض في الله يستكمل الإيمان. قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "مَن أحبَّ للَّهِ وأبغضَ للَّهِ، وأعطى للَّهِ ومنعَ للَّهِ فقدِ استَكْملَ الإيمانَ"[٩١]

كذلك أيضًا من أحب غير الله ودينه وأهله كان كافرًا بالله، قال الله –تعالى–: "قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" الأنعام:١٤

عقيدة الولاء والبراء دي على أساسها يقوم المجتمع المسلم الرباني ويكمل بنيانه، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[٩٢]، فلا بد أن نعتقد أن الموالاة والمعاداة واجبة شرعًا، وأنها من لوازم شهادة أن لا إله إلا الله ومن لوازم الإيمان، قال الله –تعالى–: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ" الممتحنة:١.

أما تقسيم مسألة الموالاة والمعاداة فهي في الجملة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

---

[٩٠] صحيح الجامع
[٩١] صحيح أبي داود
[٩٢] صحيح البخاري

– أما القسم الأول هو من يستحق الولاء والحب المطلق والنصرة وكل هذه المعاني، وهم المؤمنون الخُلَّص الذين آمنوا بالله ربًا وبرسوله –صلى الله عليه وسلم– نبيًا، وقاموا بشعائر الدين علمًا وعملًا واعتقادًا مخلصين له الدين. قال الله –تبارك وتعالى–: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ" المائدة٥٥:٥٦.

– القسم الثاني من يستحقون الولاء من جهة والبراء من جهة أخرى، وهم عصاة المؤمنين، فتجتمع فيهم المحبة والعداوة، فهم يُحَبُّون لما فيهم من الإيمان والطاعة والتقوى، ويُبغَضون لما فيهم من المعصية والفجور التي هي دون الشرك ودون الكفر، كالكثير من المسلمين الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا فبتواليهم من ناحية وتبغضهم من ناحية أخرى.

– القسم الثالث من يستحق البراء والبغض المطلق وهم الكفار الخُلَّص الذين يظهر كفرهم وشركهم وزندقتهم على اختلاف أجناسهم وأنواعهم مثل اليهود والنصارى والمشركين والملحدين والوثنيين والمجوس والمنافقين والمتكبرين على الله، أو من تبعهم من أصحاب المذاهب الهدامة والأحزاب التي تدعو إلى الإلحاد والكفر غير ذلك.

قد يقول قائل: إذا كان هناك مع المسلمين أصحاب ملل أخرى كاليهود أو النصارى؟ هناك فرق بين مسألة المعاداة القلبية لأن ده أمر قلبي بينك وبين الله –سبحانه وتعالى– وقد يكون له مقتضيات ظاهرة، لكن هذا لا ينافي أن تحسن إليه أن ترغبه في دين الإسلام، إذا عاهدته أن توفي له بوعدك، لا تأخذ ماله ظلمًا، لا تنتهك له حرمة، إلى غير ذلك من هذه الأمور. فهذا لا ينافي مسألة التعايش والوطنية وهذه الأمور، لكن أن يقول لك: لازم أن تحبه وهو أخوك وتعتقد أنه يدخل الجنة ومثل هذه الأمور فهذا من قاله كان قائلًا على الله بغير علم، وهذا من أعظم القول على الله –سبحانه وتعالى–.

من لوازم ومقتضيات وحقوق الولاء والبراء أن نهاجر من بلاد الكفر إلى بلاد المسلمين، ويستثنى من ذلك المستضعف أو الذي يخاف العودة إلى ديار المسلمين. كذلك أيضًا من لوازم الموالاة أن نوالي جماعة المسلمين، وأن نسعى للتعاون معهم على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن نحب للمسلمين ما نحبه لأنفسنا من الخير، ألا نتجسس عليهم أو ننقل أسرارهم أو أخبارهم إلى أعدائهم، ننصر المسلمين على أعدائهم ولا نتخلى عنهم البتة في حال العسر واليسر والشدة والرخاء في كل مكان وزمان.

نؤدي حقوق المسلمين من عيادة المريض، واتباع الجنائز والرفق بهم، واللين وخفض الجناح، والدعاء لهم، والرفق بضعفائهم، والحقوق في مسألة البيع والشراء وغيرها، وعدم الخطبة على خطبة المسلم، وعدم هجره فوق ثلاث إلى غير ذلك.

عدم انتهاك حرمات المسلمين من التكفير واستحلال الدماء والأعراض والأموال، والظلم أو السب والشتم أو التعدي عليهم، أو سوء الظن إلى آخر هذه الأمور.

والمعاداة في الله تقتضي بغض الشرك وأهله ومذاهبه، وعدم اتخاذ الكفار أولياء وأعوان وأنصار، عدم التشبه بهم، هجر بلاد الكفر عامة وعدم السكن بها إلا لضرورة، عدم مناصرة الكفار أو مدحهم أو الثناء عليهم، عدم مشاركة الكفار في أعيادهم وطقوسهم الدينية، احنا شايفين الكريسماس كل سنة بيحصل إيه! مخازي، أهله ما عادوش بيحتفلوا به، أكثر المحتفلين من المسلمين وهذا عجب والله، عدم الترحم عليهم أو الاستغفار لهم "مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ" التوبة:١١٣

عدم التحاكم إليهم أو الرضا بحكمهم، عدم اتباع الكفار والمشركين أو طاعتهم فيما يأمرون به، عدم بدئهم بتحية الإسلام.

كذلك أيضًا من الأمور التي ينبغي أن نمر عليها اعتقادنا في مسألة الصحابة وآل بيت النبي –صلى الله عليه وسلم– والخلفاء، فحُب أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– دينٌ وإيمان، وبغضهم كفرٌ أو فسوقٌ أو عصيانٌ، بل نحب جميع أصحاب رسول الله –صلى الله عليه

وسلم–، وفي القلب منهم آل بيت رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وكذلك نساء النبي –صلى الله عليه وسلم– ونعتقد أنهم خير هذه الأمة، ويكفي أن الله اصطفاهم لصحبة نبيه –صلى الله عليه وسلم–، وكانوا أكمل الناس إسلامًا وإيمانًا وإحسانًا وأعظمهم تسليمًا وتصديقًا وانقيادًا وهم خير قرون الأمة قاطبة، يكفي إن ربنا لما نزل قوله –تعالى–: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" آل عمران:١١٠، كان هم الصحابة اللي موجودين، كان فين التابعين لسه؟ ولا اللي جم بعدهم؟ ما كانوش جم. فدول مخاطبين أصالةً بهذه الآية ومن يأتي بعدهم هو تبع لهم، فالشهادة لهم بالإيمان والإحسان والفضل والعدل وعلو الدرجات وكمال الصفات أصل قطعي وأمر معلوم من الدين بالضرورة، فلا بد أن نحبهم، وأن نذب عن أعراضهم، وأن نتولاهم ضد من أبغضهم، الروافض يبغضون الصحابة والخوارج يكفرون الصحابة –رضي الله تعالى عنهم– إلا نفر يسير، ونحن نتولى كل أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ونقدم الخلفاء الأربعة في هذه الموالاة وبقية العشرة، ثم السابقين للإسلام، ثم أهل بدر ثم الأنصار وهكذا على اختلاف مراتب الصحابة –رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم–، ونبغض من يبغضهم ويتعرض لهم بالأذى، لاسيما من قال الله –عز وجل– فيهم: "رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ" التوبة:١٠٠

وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "لا تَسُبُّوا أصْحابِي، فَوالذي نَفْسِي بيَدِهِ لو أنَّ أحَدَكُمْ أنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، –شوفوا جبل أُحُد كم كيلو وارتفاع ما شاء الله يكاد يحيط بجزء كبير من مدينة النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: ما أدْرَكَ مُدَّ أحَدِهِمْ، ولا نَصِيفَهُ"[٩٣].

وكذلك أيضًا نحفظ رسولنا –صلى الله عليه وسلم– في آل بيته، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أُذَكِّرُكم اللهَ في أهلِ بيتي، أُذَكِّرُكم اللهَ في أهلِ بيتي" رواه مسلم. فلابد أن نواليهم وهم من جملة أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وكيف لا نحبهم ونحن نصلي ونسلم عليهم عقب كل آذان وفي التشهد في آخر الصلاة؟ وأن نعتقد أن من أهل بيت النبي –صلى الله عليه وسلم– أزواجه –رضي الله عنهن– "النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ" الأحزاب:٦

والنبي –صلى الله عليه وسلم– تزوج على الترتيب: خديجة بنت خويلد، ثم سودة بنت زمعة، وعائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر، وزينب بنت خزيمة، وأم سلمة (هند بنت أبي أمية)، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية، وأم حبيبة هند بنت أبي سفيان، وصفية بنت حيي ابن أخطب، وميمونة بنت الحارث الهلالية وهي آخر من تزوج بها رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وأن أفضلهن خديجة بنت خويلد أم أكثر أولاده لسبقها في الإسلام وعائشة الصديقة –رضي الله عنها– كانت أفقه النساء، وكانت أحب نساء النبي –صلى الله عليه وسلم– إليه، فمن تعرض لها بعد أن برأها الله –سبحانه وتعالى– فقد كذَّب الله –عز وجل– في قوله: "إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ" النور:١١، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "فضلَ عائشةَ على النِّساءِ، كفضل الثَّريدِ على سائرِ الطَّعامِ" رواه البخاري.

كذلك من الأمور التي ينبغي أن ندندن أو نمر عليها مرورًا سريعًا كيف نعامل من خرج عن هذه المقتضيات، كيف نعامل من أحدث في دين الله –عز وجل– وابتدع في الدين وأتى بأشياء لم تكن سابقة، ثم هو يريد أن يجعلها من الدين؟ كما نرى كثير من المخالفات؛ والبدع سواء البدع في مسائل الاعتقاد أو مسائل العبادة والأعمال.

فلابد أن نعلم أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قد قال: "ما مِن نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ في أُمَّةٍ قَبْلِي إلَّا كانَ له مِن أُمَّتِهِ حَوارِيُّونَ، وأَصْحابٌ يَأْخُذُونَ بسُنَّتِهِ ويَقْتَدُونَ بأَمْرِهِ، ثُمَّ إنَّها تَخْلُفُ مِن بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يقولونَ ما لا يَفْعَلُونَ، ويَفْعَلُونَ ما لا يُؤْمَرُونَ، فمَن جاهَدَهُمْ بيَدِهِ فَهو مُؤْمِنٌ، ومَن جاهَدَهُمْ بلِسانِهِ فَهو مُؤْمِنٌ، ومَن جاهَدَهُمْ بقَلْبِهِ فَهو مُؤْمِنٌ، وليسَ وراءَ ذلكَ مِنَ الإيمانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ" رواه مسلم.

---

[٩٣] صحيح مسلم

وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "سَيَكونُ في آخِرِ أُمَّتي أُناسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ ما لَمْ تَسْمَعُوا أنتُمْ ولا آباؤُكُمْ، فإيَّاكُمْ وإيَّاهُمْ"[٩٤].

والنبي –صلى الله عليه وسلم– حذرنا من البدع وأهلها فقال: "مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ فِيهِ، فَهو رَدٌّ"[٩٥].

وقال: "مَن عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عليه أمْرُنا فَهو رَدٌّ"[٩٦].

وكان يقول في خطبة الحاجة: "إنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وأحسنَ الهدي هديُ محمَّدٍ، وشرُّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلُّ محدثةٍ بِدعةٌ، وكُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ"[٩٧]

فلا سيما وقد قال الله –سبحانه وتعالى–: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ" المائدة:٣

وأصول أهل البدع خمسة هي:

– الخوارج الذين يكفرون المسلمون بالمعاصي وغيرها.

– والروافض الذين والوا آل بيت رسول الله –بزعمهم– ثم كفَّرُوا عموم الصحابة وخرجوا عن دين الله –عز وجل–، وادعوا العصمة لنفر من آل بيت النبي –صلى الله عليه وسلم–.

– وكذلك الجهمية الذين أنكروا صفات الله –عز وجل– ولم يثبتوها.

– وكذلك القدرية نفاة القدر.

– وكذلك المرجئة الذين لا يكادون يكفرون أحدًا

يبقى الخوارج في ناحية قصادهم المرجئة، والخوارج في مقابلهم والروافض كذلك كفروا كثير من الصحابة، ووالوا نفر من أهل البيت، والجهمية والقدرية كما ذكرنا، وطبعا بتتشعب شعب كثيرة عن هذه الفرق الأصلية.

وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "تفترقُ أمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ مِلَّةً كلُّهم في النَّارِ إلَّا مِلَّةً واحدةً قالوا ومن هيَ يا رسولَ اللَّهِ قالَ ما أنا عليهِ وأصحابي"[٩٨]

فلا شك أن البدعة خطرها عظيم وأهلها على خطر عظيم، فيه بدعة بتُخرِج أصحابها من دين الإسلام بالكلية، وهناك بدع تؤثر على إيمانهم، وعلى سلوكهم تأثيرًا بينًا وتوقعهم في مزلات الأقدام.

وأوتوا من قبل اتباعهم للهوى، عدم التزامهم بالوحي، الجهل بأحكام الدين، الجدل والخصومات، اتباع الأحاديث الضعيفة المكذوبة على النبي –صلى الله عليه وسلم–، معارضة السنة بالقرآن أو القرآن بالسنة، الغلو في أشخاص ورفعهم إلى مراتب قد تصل إلى مرتبة النبوة والعصمة أو الإلهية –عياذًا بالله من هذا–، فلا شك أن البدع الغليظة هذه ضارة غاية الضرر، وكان بعض السلف يقول: "السنَّةُ سفينةُ نوحٍ مَن ركبها فقد نجا ومن تخلَّف عنها هلك"، وكان السلف يحذرون من الجلوس إلى أهل البدع مخافة على الدين.

نختم بحسن الختام في منهج أهل الإيمان وأهل السنة في السلوك والأخلاق.

---

[٩٤] صحيح مسلم
[٩٥] صحيح البخاري
[٩٦] صحيح مسلم
[٩٧] أخرجه مسلم والنسائي وأحمد
[٩٨] أخرجه الترمذي والطبراني والحاكم

– فمن سلوكهم وأخلاقهم أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويرون أن خيرية هذه الأمة المرحومة واستقامتها باقية بهذه الشعيرة، والآية طبعًا معروفة: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" آل عمران:١١٠

– وكذلك من أخلاق أهل الإيمان وأهل الإسلام وأتباع الكتاب والسنة أنهم يرون تقديم الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: "ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" النحل:١٢٥

– ويرون وجوب النصيحة لكل مسلم: "الدينَ النصيحةُ. قالوا: لمَن يا رسولَ اللهِ؟ قال: للهِ ولكتابِه ولرسولِه ولأئمةِ المسلمين وعامَّتِهم"[٩٩].

– ويرون وجوب التعاون على البر والتقوى: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ" المائدة:٢.

– ويحافظون على إقامة شعائر الدين والإسلام كإقامة صلاة الجماعة والجمعة، والأعياد والاستسقاء والحج والجهاد مع الأمراء أبرارًا كانوا أو فجارًا خلافًا للمبتدعة وأهل الأهواء.

– وكذلك يثبتون في مواقف الابتلاء والامتحان: "إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ" الزمر:١٠، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ، وإن اللهَ إذا أَحبَّ قومًا ابتلاهم؛ فمن رَضِيَ فله الرِّضَى، ومن سَخِطَ فله السُّخْطُ"[١٠٠].

– وهم لا يسألون الله –تعالى– البلاء، ويسألونه –سبحانه وتعالى– العافية، لكن إذا وقع فإنما يثبتون، ولذلك قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، واعْلَمُوا أنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ"[١٠١].

– وهم من أخلاقهم أنهم لا يقنطون ولا ييأسون من رحمة الله –عز وجل– عند والشدة والمصائب والمحن، بل دائمًا متوكلون على الله، مستبشرون بفضل الله –عز وجل– وانكشاف هذه الشدائد والمحن مهما كانت عظيمة.

– وكذلك يخافون من عقوبة كُفر النعمة وجحدها، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "انظروا إلى من هو أسفلَ منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقَكم، فإنه أجدَرُ أن لا تزدَروا –أي تحتقروا– نعمةَ اللهِ عليكم"[١٠٢].

– وهم من أكثر الناس ذكرًا لله، وإذا ذكروا الله اطمأنت قلوبهم واقشعرت جلودهم وخشعت أصواتهم استشعارًا بجلال الله –سبحانه وتعالى–: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" الأنفال:٢.

– وهم يتحلون بمكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال والأقوال والأفعال، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلقًا"[١٠٣]، وقال: "إنَّ أحبَّكم إليَّ وأقربَكم منِّي في الآخرةِ محاسنُكم أخلاقًا"[١٠٤].

– وهم يخلصون في العلم والعمل، ويخافون من الرياء والسمعة، ويخفون كثيرًا من أعمالهم.

– وكذلك يسعون في إصلاح أحوالهم، ويخافون على أنفسهم من النفاق.

– هم من أهل التواضع دائمًا ومن أكثر الناس توبة وندمًا، لا يفرحون بشيء من زينة الدنيا الفانية.

– يخافون مما يغضب الله –سبحانه وتعالى–، يعظمون حرمات المسلمين وأعراضهم، يكثرون من العفو والصفح لمن آذاهم، يذمون البخل ويمدحون الكرم، يأمرون ببر الوالدين والإحسان إليهما.

---

[٩٩] صحيح مسلم
[١٠٠] صحيح ابن ماجه
[١٠١] صحيح البخاري
[١٠٢] صحيح ابن ماجه
[١٠٣] صحيح أبي داود
[١٠٤] صحيح الترغيب

– ينهون عن الحسد، يصلحون ذات البين ويسعون في الإصلاح بين المسلمين، يتأدبون مع الكبار ويرفقون بالصغار، يأمرون بحسن الجوار، ينهون عن الفخر والخيلاء والكبر والعجب والبغي والاستطالة على الخلق.

– لا يتهاونون بشيء من فضائل الأعمال والأقوال التي رغب الشرع في فعلها، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: " لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعروفِ شيئًا، ولو أنْ تَلْقَى أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ"[١٠٥].

– ولا يغضبون لأنفسهم لأنهم يفقهون فقه الغضب، قال الله –تعالى–: "وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" آل عمران:١٣٤، إلى غير ذلك من أخلاق النبوة الفاضلة والكريمة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وإلى هنا نكون قد انتهينا من هذا المرور السريع على أصول الإيمان وما يحيط به من أمور، أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يثبت الإيمان في قلوبنا وأن يُعلِي هذا الإيمان، وأن يزدنا إيمانًا وفقهًا وعلمًا وحلمًا وأن تظهر على وجوهنا ومحيانا آثار هذا الإيمان، وأن يزيدنا –سبحانه وتعالى– من نور الوحي وبركته كتابًا وسنة، وأن نتخلق بأخلاق نبينا –صلى الله عليه وسلم– الذي كان خلقه القرآن، وأن نتأدب بآداب أصحابه –رضي الله تعالى عنهم– الذين ضربوا أروع الأمثال في معالي الأخلاق وفي كراهية سفسافها.

ونسأله –سبحانه وتعالى– أن يحيينا وإياكم على الإيمان، وأن يتوفانا عليه –سبحانه وتعالى– وأن يسكننا به أعلى الجنان، وأن يتجاوز عنا بمنه وكرمه اللهم آمين.

وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، وأسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يجزيكم عنا خيرًا أن منحتمونا أنفسكم لتصحبونا في هذه الرحلة، وقد سعدت وشرفت بصحبتكم فيها، وأسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يجزي إخواني الفضلاء الكرماء الذين يقومون بهذا العبء الكبير في موقع الطريق إلى الله في هذه الدورات العلمية الطيبة أسأل الله أن يثيبهم وأن يعظم لهم في الأجر –سبحانه وتعالى–، وأن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح وإلى هنا أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محبكم في الله أخوكم عبد المنعم مطاوع.

[١٠٥] صحيح مسلم